السبيل إلى السكينة

ترجمة : أمل عمر بسيم الرفاعي

ترجمات ناشري

ناشري

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.
www.Nashiri.Net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب.
نشر إلكترونيا في رجب ، ١٤٣٣/ يوليو ، ٢٠١٢.

يمنع منعا باتاً نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع. جميع الكتابات المنشورة في موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبيها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية قانونية أو أدبية عن محتواها.

تصميم الغلاف ، الإخراج الفني : هالة الغامدي

محتــويات الكتــاب

المقــدّمــة	٣
تطلّع المرء إلى الراحة والسكينة	٤
علاج الشعور بالإحباط	٧
فقدان السيطرة على النفس	١١
انظر إلى الجانب الآخر	١٤
الإيمان، الوقت والعزيمة	٢١
ليس نبيلاً لكنه سعيد	٣٣
الخطأ الفادح	٤٣
هناك فارق	٤٩
ثمرة السعادة	٥٢
السيرة الذاتية للكتّاب	٥٩
السيرة الذاتية للمترجمة أمل الرفاعي	٦٣

المقدّمة

السبيل إلى السكينة...

هل السكينة من الأمور المرتبطة بالسعادة ؟... أو بالأحرى هل يكفي شعور المرء بالسكينة لكي ينعم بالسعادة ؟...

ألا تنبع السكينة من النفس الفاضلة ومن راحة الضمير؟...

قد تتباين الآراء في تعريف المعنى الحقيقي للسكينة ، وقد تختلف وجهات النظر في تحديد الأسلوب الأفضل للتوصل إلى السكينة...

قد يجد البعض السكينة في العزلة و بالابتعاد عن عالم تسوده مبادئ دخيلة قد لا يتقبّلها أوقد لا يكون بإمكانه التأقلم معها :

من أن تكون المصلحة الشخصية فوق كل اعتبار، ومن أن تُبرر الغاية الوسيلة ، ومن أن تكون المنافسة، حتى لو كانت غير مشروعة، سلاح الأقوياء...

وقد يجد البعض الآخر السكينة بالاعتكاف وبالالتجاء إلى الله تعالى، وبالابتعاد عن كل ما له صِلة بالحياة الدنيوية المادية ،بما تَعرضه من مُغريات لابدّ أن تهفو إليها نفس المرء، قد تقوده بالتالي إلى ما يُفسد شعوره بالراحة والسكينة...

لكن ألا تُعتبر الانعزالية والابتعاد عن العالم من السلبية؟... ألا يكون المرء بذلك قد ألغى وجوده كلياً في هذا العالم؟... أليس ما يكشف عن القِيم والفضائل التي يتحلّى بها المرء تواجده في المجتمع وتفاعله معه...

نعم !... لم تكن السلبية يوماً الوسيلة الناجعة الأفضل.السكينة أو للحصول على السعادة.، كما أن الحقيقة التي ليس بإمكان أي منا إنكارها ، والأمر الذي لايمكن أن نختلف عليه ، هو أن السكينة التي هي بالفعل سرّ من أسرار السعادة، لايمكن أن تتحقق إلا براحة الضمير ، تتطلب من المرء بذات الوقت تبرير جدوى وجوده في هذا العالم ، وبأنها يجب أن تتجلى بمُغالبة النفس وبالسعي نحو الأفضل ... كل منا يُدرك جيّداً بأن تحقيق المرء لآماله ولما يتطلع إليه من العوامل الجوهرية التي تمنحه السعادة ، والتي تقوده بالتالي إلى توأم السعادة الذي يتجلّى في شعوره بالسكينة ، لكن علينا ألا ننسى أيضاً بأن سعي المرء لتحقيق تلك الآمال والتطلعات لا يعني تخليه عن مبادئه وبأنه بتمسّكه بها سوف يتوصل إلى الشعور براحة الضمير وإلى بالسكينة ...

أمل عمر بسيم الرفاعي

تطلّع المرء إلى الراحة والسكينة

Human longing for peace and rest

للكاتب ت.ش. آرثر

هناك القليلون ممن لا يَكمن العنصر الأساسي لمفهومهم عن السعادة في السكينة . أكثر الأشخاص الذين تقاذفتهم عواصف ونوائب الحياة، والذين لم يجدوا العزاء، يتطلعون آخر الأمر إلى نهاية ما يمرون به من مآسٍ بالحصول أخيراً على السكينة.

لذا كان تطلع المرء إلى السكينة وإلى الراحة النفسية مرتبطاً في مخيلته على الدوام بصورة الجنة ،، وهذا ما يجعله في نهاية الأمر يقول :

" كم قد يكون في الموت من راحة ومن سكينة!..."

كما أن من يتمتع بنعمة الإيمان لابدّ أن يجد بأن الخلود في الجنة هو المظهر الذي تتجلّى به السكينة، وبأن الجنة هي المكان الذي يتحرّر فالينابيع،ن جميع ما يتسبب له بالقلق وبالاضطراب ،، وبأنه المكان الذي لا يُعكر صفو الهدوء فيه أي صوت، والذي لا يسمع فيه المرء سوى نغمات الترانيم الدينية التي تُشبه همس المياه المُتدفقة من الينابيع ، والتي تمنح المرء هدوءاً أكثر عمقاً من سكينة الصمت.

لكن المرء قد يتوق إلى الراحة والسكينة إلى الحدّ الذي يجعله يُعزّي نفسه ليس فقط بتلك الرؤى البعيدة للجنة وإنما أيضاً بالسعي إلى تجربة جوهرها...

ولكن ماهي الوسيلة للتوصل إلى ذلك ؟...

هل هي بأن يعمد المرء إلى أن يترك خلفه كل ما كان يلهث لأجله دون جدوى في سباق الحياة وأن يلجأ إلى مكان بعيد بإمكانه أن يستمتع فيه بالهدوء والسكينة ؟...

قد يحاول المرء خوض مثل تلك التجربة ،لكنه سوف يجد بسرعة بأنه لم يُفلح بالتخلّص من قلقه وبأنه لم يشعر بالسكينة ،، وسوف يكون بذلك قد تلقّى أخيراً درساً هاماً في الحياة : بأن السكينة ليست مُرتبطة بالمكان وإنما تنبع من قرارة النفس،، وبأن السماء الهادئة ، وبأن دائرة الأفق وبأن النجوم الراسخة في كبد السماء ليست سوى لغة السكينة لكنها ليست السكينة ذاتها...

وقد يبحث المرء عن السكينة في الحياة العائلية بأن يجعل كل شيء في منزله يسير على هواه ،، بحيث تُنير منزله الأصوات المُحببة المُتناغمة التي تُبهج النفس التي تحلّ حتى أثناء ظُلمة الليل مكان إشراق شمس النهار... لكن المرء قد يُخفق أيضاً في ذلك ، وقد لا يشعر بالراحة أو بالسكينة على الرغم من اعتقاده بأنه قد توصل إليها ... فقد يتفوق عليه في ذلك أحد الجوار مما يجعله يشعر بالغيرة التي لابدّ أن تُنغّص عليه صفو حياته العائلية،،

وقد تتولد لديه الرغبة بالمزيد من الملكية، أو قد يُسيطر عليه الحسد وسوء النية أو قد ترفض حواسه ابتلاء وألم المرض...

لذا فليست السكينة في الأمور الخارجية التي تكون دعائمها محدودة، دعائم قد تزول مع مرور الوقت أو أنها قد تَبهت وتصبح مُملّة.، ذلك لأن مدارك الإنسان لايمكن أن تكتفي بمجرد خداع النفس ولأن للمرء نفس مُتعددة الرغبات ، ولأن هناك دوماً ما يأمل به المرء... فهو حتى وهو في غمرة انغماسه في المتع واللذات، لابدّ أن يكتشف الحقيقة الأبدية بأن في زوال المتعة ألم يُضاعف سعادة الحصول عليها ...

وقد يعتقد المرء أحياناً بأنه سوف يحصل على السكينة بطريقة أخرى، وذلك بأن يتخلى عن جميع المتع الدنيوية وبأن يذهب إلى مكان بعيد مُقفر يعيش فيه على الماء والأعشاب فقط لكي يستغرق في نشوة التُقى والوَرع...

كثيراً ما نجح الإنسان في ذلك أكثر من نجاحه في سعيه وراء المتعة.، لكن شعوره بالسكينة كان على الدوام ممزوجاً بالقلق رغم ما توصل إليه من سكينة...

فقد تقاوم غرائز المرء التضحية.، وبذلك تُصبح تقواه ويُصبح تكريسه لنفسه، حتى وهو بمفرده تماماً، غير مُرضٍ تماماً وبمثابة الأنانية.

وهكذا نرى بأن جميع الأشخاص يتطلعون ويبحثون بطريقة أفضل أو أسوأ عن ذات السكينة والسلام والراحة النفسية. البعض يبحث عنها بممارسة النشاط الخارجي، وذلك بأن يعمد إلى السفر من مكان لآخر، أو إلى التنقل من رفقة إلى رفقة أخرى، لكن كل ما يقوم به هؤلاء هو تغيير المكان فقط، لكنهم لن يُغيروا مُطلقاً من أنفسهم...

مثل أولائك الأشخاص يُثيرون الشفقة فهم يبحثون عن إخفاء عِري أنفسهم بالملابس أو باللهو أو الثرثرة لكي يُخفّفوا من حرارة النيران التي تُلهب قلوبهم.

فقد نشاهد أحياناً الوجوه الأكثر بهجة في عربات الحداد، كما قد ينظر إلينا الأشخاص الأكثر كآبة وأصحاب القلوب المتألمة التي تُعاني، بابتسامة ظاهرية وبضحكة بهيجة مُشرقة.

وقد يبحث الآخرون عن السكينة في الانطلاق إلى المزيد من المغامرة، فهم بذلك مثلهم مثل البحارة والضباط والتجار والمتعاملين بالأموال والعاملين في الميدان السياسي الذين يدفعون بأنفسهم إلى حياة المغامرة لكي يتحرّروا من فراغ قلوبهم المتألمة أملاً بأن تجعلهم مجازفتهم في الأعمال التجارية وتغييرات الحياة السياسية، ينسون فراغ أنفسهم.، وهم بذلك يحاولون التغلب على شعورهم الداخلي بالقلق بتعريض أنفسهم للمجازفات، لكنهم بذلك أيضاً يخدعون أنفسهم بالاعتقاد بأنهم في طريقهم إلى الحصول على السكينة...

هل يتوق المرء إلى السكينة والراحة إلى هذا الحدّ دون أن يجدها قطّ ؟... نعم!... هذا ما أثبتته التجارب الإنسانية ، على الرغم من أن الأمر ربما كان كذلك في أحوال نادرة وبأنه غير مؤكد بعض الشيء ...

هذا هو وضع سكينة النفس ... ولكن عندما تعمل قُدرات المرء معاً بشكل مُتناغم، دون أن تُنازع الواحدة الأخرى ودون أن تُعيق إحداها الأخرى فسوف تتكامل معاً. قد تنشط طاقة محددة في البداية وتتوجّه نحو نهاية نبيلة، لديها استقلاليتها في التصرف، لكنها بذات الوقت لابد أن تعمل بالتناغم، كل منها مع الجميع وجميعها مع كل منها، وهو الأمر الذي يمكن أن نُطلق عليه تعبير ضبط النفس ورباطة الجأش...

كما أن السكينة والراحة النفسية لايمكن أن تكون بعدم المبالاة ولا بالبلادة وإنما بالنشاط بشكله المثالي وبأرفع مستوياته.

لذا فقد نجد بعض الأشخاص الذين ولدوا بقدرات مُتوازنة تماماً، لذا فإن توصلهم إلى السكينة ،يكون بالعمل وبالكفاح في الحياة . كما أن أكثر الأشخاص وعلى رأسهم الأشخاص الأقوياء، يولدون مُنظمين ومُتوازنين مما يُمكّنهم من التوصل إلى حلّ لغز الحياة ، ويكون بإمكانهم بذلك مقاومة أنفسهم . وقد يكون هؤلاء الأشخاص في البداية غير متوازنين تماماً بحيث يَغلب جزء من شخصيتهم على الجزء الآخر، وهم بذلك أشبه بالبحر الهائج الذي لايمكن أن يهدأ.

لذا على المرء أن يعمل على توظيف قدراته وميوله للتوصل إلى الأهداف السامية، ولكي تتناغم تلك القدرات معاً لابدّ أن يكون إدراك المرء وأن تكون نظرته إلى حقيقة الحياة صائبة .

لابدّ للمرء أن يتمتع بإرادة قوية وأن يكون لديه هدف مُحدّد وفكرة سامية وذهن يتعلّم من التجربة تصحيح النواقص وتلافي العيوب، وهو الأمر الذي يتطلب منه التحكّم بنفسه وبعواطفه التي كانت سابقاً تتحكم به. على العقل أن يسود على الإحساس و على الواجب أن يسود على النزوات .

لابدّ لكل منا أن يتعرّض في الحياة إلى الكثير من الأحزان وأن يواجه العديد من النوائب، فقد يخسر شخصاً عزيزاً عليه وقد يكون حزنه عليه دون عزاء... لكن على المرء أن يحاول التأقلم فكرة فقدان من يحبهم، دون أن يعمد إلى نسيانهم تماماً، وذلك بأن يتوجّه بأفكاره إلى المكان الذي ذهبوا إليه إلى أن يصبح فقدانه لهم ليس بالخسارة التي لا عزاء فيها، وأن يدرك بأنهم انتقلوا إلى عالم أفضل وأكثر نقاء ،، وبأن الابن ، الابنة، والأخ ،الأخت أو الزوج الزوجة هم جميعاً من الخالدين في كنف الله تعالى وليسوا أمواتاً تحت التراب، وهذا ما سيجعل المرء يتمالك نفسه ويتوازن ، وهذا ما سوف يجعله يحصل على الراحة والسكينة...

علاج الشعور بالإحباط
A Cure for low spirits
للكاتب ت.ش. آرثر

كنت من الأسباب، لسبب حقيقي أو سبب غامض، أشعر بالكثير من الإحباط. كان كل شيء من حولي يبدو كئيباً . لم يكن بإمكاني أن أبتسم كعادتي ولم يكن بإمكاني أن أتحدث بصوت يَنم عن البهجة والسعادة . كانت إشراقه ملامح وجهي قد زالت كنتيجة طبيعية لذلك الشعور بالإحباط... كان زوجي هادئاً فلم يكن لديه الكثير مما قد يقوله، وكان أولادي ينظرون إلي باستغراب، عندما كنت أجيب على تساؤلاتهم دون مبالاة، وكان خدمي يتحركون في المنزل بسكون، وحتى أنهم عندما كانوا يوجهون الحديث إلي، كانوا يفعلون ذلك بلهجة أكثر لطفاً من المُعتاد.

لكن ردّة الفعل تلك كانت قد زادت من شعوري بالإحباط وبالاكتئاب الذي كان يكتنفني. كنت أدرك كل ذلك وكنت أعلم بأن السبب الجوهري لشعوري بالاكتئاب لم يكن بحد ذاته كافياً لما ينجم عنه من تصرفات غريبة... كنت وأنا في تلك الحالة النفسية أبذل كل ما بإمكاني كي أتمالك نفسي ولكن دون جدوى . كل ما كنت أفعله هو أنني كنت أغرق أكثر فأكثر في تلك الكآبة التي ألقت بظلالها على نفسي وعلى روحي.

وعندما عاد زوجي إلى المنزل في موعد العشاء في تلك الليلة، حاولت أن أستقبله بابتسامة لكنني شعرت بأن ابتسامتي كانت باهتة وبأنها لم تدم طويلاً. نظر إلي زوجي بقلق ثم سألني بأسلوبه اللطيف فيما إذا كنت أشعر بأنني بوضع أفضل.، وكان يتظاهر بأنه يعتقد بأن علاجي يَكمن في جسدي وليس في روحي وفي نفسي...

كنت بالكاد قد أجبته رغم أنه كان بإمكاني أن أدرك بأن إجابتي المُقتضبة قد جرحت شعوره، وهذا ما جعلني أشعر بالمزيد من البؤس...

هل كان بإمكاني أن أنسحب إلى غرفتي وأن اترك لقلبي المجال، وأنا بمفردي، للتنفيس عن كآبتي بأن أسكب فيضاً من الدموع ،لو كان في ذلك ما من شأنه أن يمحني السكينة ؟... لكن لا... لم يكن بإمكاني أن أفعل ذلك...

وبينما كنت جالسة أمام المائدة وأنا أرغم نفسي على ابتلاع الطعام لمجرد التظاهر بأنني أتناول العشاء مع أفراد عائلتي قال لي زوجي:

"هل تذكرين الشاب اللطيف إدوار الذي يعمل في متجرنا لمدّة ؟"

أومأت برأسي فقط، فلم يكن السؤال قد أثار في نفسي أقل اهتمام.

ثم قال زوجي " لم يظهر هذا الشاب في المتجر منذ عدة أيام ، وقد أرسلت صباح اليوم من يستفسر عن وضعه وكان أن أعلمتني والدته بأنه مريض جداً..."

كان ردّة فعلي الوحيدة بأن قلت مبالاة:

"حقاً ، أهذا صحيح؟"

لو كنت قد عبّرت عما في يجول في ذهني لكنت قلت:

" أشعر بالأسف لأجله ."

لكن لم يكن بإمكاني أن أفعل ذلك ، كما لم أكن في تلك اللحظة قد شعرت بأقل الاهتمام بذلك الفتى."

أضاف زوجي " نعم ،كما أن الشخص الذي زاره لكي يستفسر عن وضعه قد أعلمني بأنه يعتقد بأن إدوار قد لا يشفى من مرضه بعد الآن ..."

حينئذ سألت" ما الذي يشكو منه؟ "

" لم أفهم جيداً، وما علمته أنه كان قد أصيب منذ عدة أيام بنوع من الحمى. أعتقد بأنك تذكرين والدته جيداً؟ "

" نعم بالطبع . أنت تعلم بأنها عملت لدي لفترة ، وأعتقد بأن إدوار ولدها الوحيد."

" نعم . وسوف تكون خسارتها له بمثابة خسارتها لكل شيء في العالم."

سألت وقد بدأت أشعر بنوع من الاهتمام:

" هل هو بوضع خطر إلى هذا الحدّ؟"

" أعتقد بأنه ليس من المتوقع أن يعيش."

قلت " يا للمرأة البائسة لابد أنها في غاية اليأس، أتساءل كيف هو وضعها حالياً، كما أنها عندما عملت لدي كانت تبدو فقيرة جداً..."

" وهي لاتزال فقيرة جداً وهذا من المؤكد، كما أنها كانت مؤخراً قد مرضت أيضاً وبذلك لم تعد تعمل. أعتقد أن يكون دخلها الوحيد ما كان يحصل عليه إدوار من أجر ،. وبأنها مؤخراً قد عانت كثيراً ولم يعد لديها ما يكفي من مال لتأمين أقل الاحتياجات الضرورية لذلك الفتى المريض. أليس بإمكانك أن تذهبي إليها بعد ظهر اليوم لكي تطلعي على وضعهما.؟"

هززت رأسي على الفور بالنفي ،. فلم يكن شعوري بالتعاطف تجاه الآخرين قوياً في ذلك الوقت لكي يحلّ محل الأنانية التي كان يتسبب بها شعور بالكآبة الذي كنت فيه....

أجاب زوجي " سوف يكون علي بذلك أن أذهب إليهم بنفسي اليوم قبل عودتي من المتجر ، على الرغم من أن لدي الكثير من المشاغل التي تجعل تواجدي فيه ضرورياً جداً، فليس من المناسب أن نعمد إلى إهمال الفتى ووالدته في مثل هذه الظروف القاسية."

شعرت بأن هناك نوع من العتاب بما قاله لذا أرغمت نفسي على القول"

سوف أذهب إليهم بنفسي."

أجاب زوجي لأن أبذلن من الأفضل بكثير أن تَرينهم أنت من أن أزورهم أنا فسوف يكون بإمكانك أن تطلعي على احتياجاتهم وبذلك سوف تكون زيارتك أكثر فعالية... أريدك أن تؤمّني لهم كل ما يحتاجونه من مساعدات."

كان بحاجة لأن أبذل الكثير من الجهد للاستعداد لزيارتهم ، لكن كان علي أن أفعل ذلك مادمت قد وعدت زوجي. وكنت وأنا أستعد للخروج قد بدأت أشعر بأنني بوضع أفضل. كانت المهمة التي سوف أؤديها قد بدأت تُبدّد بعض الغيوم التي تُثقل على روحي.، وكانت أفكاري عندما بدأت تلك الغيوم تنقشع، قد بدأت تتجه نحو الاهتمام بالأمر الذي يشغل ذهن زوجي.

كان كل شيء ساكناً في ذلك المنزل المتواضع الذي ذهبت إليه. طرقت الباب برفق وكانت والدة إدوار خلال لحظات قد فتحت الباب . كانت تبدو شاحبة قلقة سألتها :

" سيدة إبليس، كيف حال ولدك الآن ؟"

أجابت " إنه بوضع سيء جداً سيدتي."

" أمل ألا يكون وضعه خطيراً."

" انخفضت حرارته حالياً، لكنه واهن جداً أشبه بطفل صغير وقد خسر كل ما لديه من طاقة."

" لا تقلقي سيدة إبليس، لابد أن التغذية الجيدة سوف تعيد إليه طاقته وصحته ما دام قد شفي من مرضه."

" يقول الأطباء ذلك لكنني أخشى أن يكون قد فات الأوان لذلك، فهو يتراجع ساعة بعد ساعة، هل ترغبين بمرافقتي لرؤيته سيدتي ؟"

تَبعت السيدة إبليس إلى الغرفة التي كان فيها الفتى المريض.، وكنت عندما شاهدت وجه إدوار الشاحب والهالات التي تُحيط بعينيه اللتين فقدتا تقريباً أي تعبير إنساني ،قد أدركت بأن والدته لم تكن قد بالغت بما أبدته من قلقها عليه.، حتى أن الفتى لم يكد يلحظ دخولي إلى الغرفة.

تنهدت والدته وقالت " كان الفتى المسكين قد أصيب منذ قليل بنوبة قاسية من السعال."

أيقظ ما قالته اهتمامي على الفور، وأجبت وأنا أضع يدي على جبين الفتى الشاحب الذي كانت الحمى قد أنهكت قواه:

" لابدّ أنه كان مريضاً جداً بالفعل ! هل تمنحينه ما يكفي من الغذاء؟"

" هو بالكاد يشرب القليل من الماء ."

" ألم يصف له الطبيب تناول بعض العصائر؟"

أجابت السيدة إبليس بتردد:

" نعم سيدتي. قال الطبيب بأن كأسين من العصير يومياً سوف يُفيده كثيراً."

" ألم تفعلي ذلك؟"

" لا سيدتي."

قلت " لدينا بعض العصائر المفيدة للمرضى. . ما رأيك أن تذهبي إلى منزلي لكي تطلبي من الخادمة أليس إعطائك البعض منها وسوف أبقى أنا إلى جانب إدوار إلى أن تعودي."

أشرق وجه المرأة لدى سماعها ما قلت ثم قالت:

" أنت طيبة جداً سيدتي، لكن قد يكون من الكثير أن أطلب منك البقاء مع ولدي إلى أن أعود."

أجبتها وأنا أبتسم " سيدة إبليس ! أنت لم تطلبي مني ذلك، أنا التي عرضت عليك البقاء هنا إلى جانبه، لذا فلتذهبي بسرعة لجلب العصائر لأن إدوار بحاجة ماسة إليها."

لم أكن بحاجة لقول المزيد. كانت السيدة إبليس خلال لحظات قد أسرعت بالذهاب وبذلك أصبحت بمفردي مع الفتى المريض الذي كان مُمدّاً على سريره بسكون، بعينين نصف مغمضتين أشبه بشخص ميت.

كنت خلال النصف ساعة التي مكثت خلالها في تلك الغرفة الساكنة، قد أدركت مدى معاناة تلك الأم البائسة وهي تشاهد ولدها الوحيد مُمداً وهو يلهث ويكاد يموت، وبذلك استيقظت في نفسي مشاعر التعاطف نحوها...

عادت السيدة إبليس بعد قليل تحمل معها العصائر وعندما أدنت إلى شفتيه كأس العصير كان الفتى الظمىء قد تجرعه بالكامل دفعة واحدة وعلى الفور.

قلت بحماس وقد شعرت بقلبي يُشرق بالسعادة:

" أعتقد أنه سيستفيد من العصير."

ثم جلسنا معاً وأخذنا ننظر بصمت إلى وجه الفتى الذي بدأ اللون يعود إليه. وعندما وضعت يدي على جبينه للمرة الثانية بعد قليل ، وجدت أن البرودة و التعرّق قد زالا عنه .

وبعد أن انتظرت لساعة أخرى جعلته يشرب كأساً أخرى من العصير، وكان تأثيره جيداً عليه كالسابق.

ثم غادرت منزل المريض ووالدته لكنني وعدتهما بالمرور بهما في صباح الغد.

وعندما أصبحت في الشارع كنت قد عدت من جديد بأفكاري إلى وضعي.، لكنني وجدت بأن تغييراً كبيراً قد طرأ عليّ .، وبأن الغيوم قد بدأت تنقشع عن ناظري، وبأن ذلك الثقل الذي كان يُثقل قلبي قد زال وبذلك أخذت أمشي بخطى أكثر خفة...

وكنت عندما عدت إلى منزلي قد وجدته مُشرقاً دافئاً ، ذلك لأن الإحسان للآخرين والتعاطف معهم ، ولأن ما يُقدمه المرء من جهود فعّالة لمساعدتهم، لابدّ أن يطرد جميع الشرور من القلوب ويجعل السكينة والسلام يحلاّن فيها...

وبذلك قمت على الفور بإعداد سلّة من المؤن لأجل تلك الأرملة البائسة وولدها المريض وأنا أدندن بكل سعادة. وعندما عاد زوجي إلى المنزل مساء ذلك اليوم وجدني أنجز بعض الأعمال المنزلية بكل سعادة وعلى وجهي ابتسامة رضى.، ذلك لأن الجهد الذي يبذله المرء لأجل مساعدة الآخرين يُزيل الظلمة من الروح ويجعل نور الأمل يّشرق فيها وينعكس على الآخرين...

فقدان السيطرة على النفس

Losing one`s temper

للكاتب ت.ش. آرثر

بينما كنت جالسة في غرفتي ذات صباح وأنا في وضع من التوتر الشديد لعدة أسباب ، اقتحمت عليّ الغرفة طفلة يتيمة كنت أتولى رعايتها في منزلي ،وبيدها كأس مُحطمة وقالت وقد شحب وجهها الطفولي وارتجفت شفتاها :

"انظري ما حدث معي سيدة غراهام ! عندما ذهبت لجلب بعض الماء لأجل آنا ، سقطت الكأس من يدي وتحطمت، أنا آسفة لذلك ."

وبما أنني كنت حتى قبل مجيء تلك الطفلة في مزاج نَكد جداً ، فقد جعلني ظهورها وهي تحمل بيدها تلك الكأس المُحطمة أزداد توتراً . كانت الطفلة حزينة جداً لتحطم الكأس ولابدّ أنها كانت بحاجة إلى المُحطم:ني كلمة طيبة تُهدئ من روعها لكنها مع الأسف كانت قد أتت إلي في وقت غير مناسب.

قلت لها بصرامة وأنا أتناول من بين يديها المرتجفتين قطع الزجاج المُحطم:

" أنت فتاة مُهملة جداً !... أنت لست سوى فتاة مهملة جداً، وأنا مُستاءة منك جداً !..."

لم أتفوّه بأكثر من ذلك، لكن ملامح وجهي كانت تحمل تعنيفاً أشدّ مما عبّرت عنه تلك الكلمات. وقفت الطفلة إلى جانبي لبعض الوقت ثم أسرعت بالخروج من الغرفة.

وكنت بعد لحظات قد شعرت بالأسف لأنني كنت قد سمحت لنفسي بالتحدث بمثل ذلك الأسلوب القاسي مع تلك الطفلة البائسة، فلم يكن هناك ما يستدعي ذلك.،وكنت قد أدركت بأن كلماتي كان لها تأثيراً كبيراً في نفسها ، وبأنني تسببت بالتعاسة لتلك الطفلة دون أي سبب وجيه لأن تحطّم الكأس أمر يمكن أن يحدث مع أي شخص لذا لم يكن هناك ما يستدعي تعبيري عن كل ذلك الاستياء...

الحقيقة أنني كنت أشعر بالتعاسة قبل دخول جين إلى الغرفة وكان تصرفي تجاهها قد جعلني أكثر تعاسة ... أخذت ألوم نفسي وشعرت بالحزن لأجل الطفلة لكن ذلك لم يكن من شأنه أن يُصلح ما حدث.

وكانت جين بعد وقت قصير قد دخلت إلى الغرفة بسرعة تحمل بين يديها "ويلي" طفلي الصغير ذي الوجه الملائكي. كان طفلي نائماً وكانت جين مع ذلك قد حملته وصعدت به السلالم بكل ما لديها من عزم .

لم ترفع جين نظرها إليّ وإنما توجهت بحِملها على الفور نحو السرير ووضعت الطفل فيه بكل عناية وحنان ثم جلست إلى جانب السرير وقد أشاحت بوجهها عني ثم أخذت تطرد الذباب عن وجه الطفل بالمروحة لكي تُرطّب بشرته الناعمة.

كان في ملامح وجه جين ما يكفي لأن يجعلني أدرك بأنها في غاية الحزن والأسى ،. وبأنني كنت من تسبب في ذلك بتلك الكلمات القاسية التي تفوّهت بها والتي جعلت سحابة الحزن تلك تبدو على وجهها الطفولي ...!

حدثت نفسي" حدث ذلك لأنني كنت قد تركت لنفسي العِنان للاستسلام لمزاجي النَكد المُشاكس. لكن عليّ أن أحرص في المستقبل على ألا أدع المجال لحالتي النفسية بتوجيه تصرفاتي تجاه الآخرين، فليس من حقي أن أجعل الآخرين يعانون من سوء حالتي النفسية."

ظلّت جين جالسة إلى جانب ويلي تَذري بالمروحة،، وكانت تصل إلى مسامعي من وقت لآخر صوت تنهيدة خافتة تنطلق من أعماق صدر تلك الصغيرة رغماً عنها ، رغم أنها كانت تحاول إخفاءها وكان ذلك ما أصابني في أعماق قلبي.

وبعد وقت قصير جاءت لزيارتي إحدى الصديقات، ذهبت لاستقبالها في الردهة وأمضيت ساعة في التحدث إليها،، لكنني كنت أشعر طوال الوقت بثقل على قلبي. حاولت جاهدة أن أكون مرحة لكنني كنت بكل وضوح أشعر بالكثير من الضيق والأسف من أن تكون الآن هناك إنسانة ... طفلة عديمة الأبوين، تُعاني بسبب قسوتي نحوها،، وكان ضميري يُعذبني ويُلقي بثقل المعاناة على روحي.

وكنت قد حدثت نفسي وبعد أن غادرت صديقتي حدثت نفسي وأنا أحاول أن ألقي وراء ظهري ذلك الشعور بالقلق:

" حدث هذا كله نتيجة ضعفي وعدم سيطرتي على نفسي"

لم يكن الحديث الذي دار بيني وبين صديقتي قد أفلح في تغيير وضعي النفسي وكانت صورة الوجه البائس الحزين للصغيرة جين لاتزال أمام عيني تعذبني وتجعلني أشعر بالأسف.

فكّرت بأن كل ما عليّ أن أفعله كي أشعر بالراحة ولكي تشعر جين أيضاً بالراحة، هو أن أقول لتلك الصغيرة بأن تلك الكأس لا قيمة لها وأن تحطمها ليس بالأمر الهام. لكن ذلك كان من شأنه أن يجعلني أعترف بأنني أخطأت بحقها وبأنني تصرفت تجاهها بشكل سيء،، لذا جعلني اعتزازي بنفسي وكبريائي أقلع عن ذلك.

تنهدت" يا إلهي!... لِم سمحت لنفسي بالتصرف بتلك الطريقة الفظّة غير المسؤولة؟... كم قد يكون السبب في تحطيم سكينة نفوسنا واهياً ودون أهمية!... كم قد يكون لكلمة واحدة نتفوّه بها من تأثير سيء أو جيّد على نفوسهم ..."

وتذكرت حينئذ بأنني عندما كنت طفلة، كنت قد تعرّضت ممن كنت أرغب بنيل رضاهم إلى اللوم بمثل تلك الطريقة القاسية،، وبأن ذلك قد جعلني أشعر حينذاك بأن للكلمات في بعض الأحيان وقع أكثر إيلاماً حتى من الصفعات... وكان هذا ما جعلني أتفهم أكثر فأكثر شعور تلك الطفلة وأتعاطف معها إلى حدّ كبير..

كانت جين طوال ذلك اليوم تتحرك في المنزل بسكون أكثر من المعتاد،، وعندما كنت أتحدث إليها حول أمر ما ،. وهذا ما كنت أفعله بلهجة رقيقة بأكثر من المعتاد، كانت تنظر إلى وجهي بنوع من الجدّية مما جعلني أخجل من نفسي.

كنت مساء ذلك اليوم قد طلبت من جين أن تجلب لي إبريقاً من الماء مع كأس على صينية. ذهبت جين وعادت وهي تحمل الصينية ،، كانت تبذل جهداً أكثر من المعتاد في الحرص على ألا تسقط من بين يديها ،، لكن قدَمها تعثرت بشيء على الأرض. حاولت جين جاهدة أن تمنع سقوط الصينية لكنها فقدت توازنها وسقطت على الأرض وبذلك تحطم الإبريق والكأس وانسكبت المياه على ثوبي.

شحب وجه الطفلة البائسة إلى حدّ كبير وألقت إليّ نظرة فزع لن أنساها ما حييت، ثم حاولت أن تتكلم لكنها عجزت عن النطق بأية كلمة.

أما بالنسبة إليّ فكان الدرس الذي تلقيته صباح ذلك اليوم قد جعلني أشعر بضرورة السيطرة على أعصابي وعلى ثورة الغضب التي قد تُفسد نفسي وبذلك قلت لها على الفور وبصوت هادى جداً:

" لابأس جين ، أعلم بأن ما حدث كان رغماً عنك، كان علي أن أصلح طرف السجادة الذي تسبب في تعثّرك،، كنت أنا أيضاً على وشك التعثر به هذا الصباح . اذهبي الآن وأحضري قطعة من القماش لكي تُجففي بها الماء الذي انسكب وسوف أقوم أنا بجمع قطع الزجاج المحطم."

عاد اللون إلى وجه جين وألقت إليّ نظرة عرفان لن أنساها ما حييت .،ثم أسرعت لكي تفعل ما طلبته منها. وعندما عادت جين بدأت تلوم نفسها وتُبدي أسفها لما حدث، ولأنها لم تكن أكثر حذراً ثم وعدتني مرّة بعد مرّة بأنها سوف تكون أكثر حذراً في المستقبل...

كان هناك بالطبع اختلاف كبير بين مشاعري في تلك اللحظة وبين مشاعري في ذلك الصباح. كنت قد شعرت بسعادة أكبر لأنني تصرفت بإنصاف ولأنني كبحت مشاعري وسيطرت على غضبي، وبذلك لم يكن على تلك الطفلة الصغيرة أن تتعرض أكثر من ذلك للمعاناة نتيجة لومي وقسوتي. وقلت لنفسي" هذا أفضل بكثير ..."

علينا في هذه الحياة وفي علاقاتنا مع الآخرين أن نحافظ على هدوءنا، وألا نتحدث إليهم بقسوة،، كما أن علينا بشكل خاص، ألا نتعامل بقسوة مع من هم من مرتبة اجتماعية أدنى منا لأن كلمات الغضب من شأنها أن تتسبب بجرح مُضاعف لمشاعرهم،، فهي عدا عن أنها تجرحهم فلابدّ أن تترك وراءها لَسعة وألماً أكثر من أي شيء آخر...

علينا أن نحترس من المزاج المُتقلّب، وألا نترك المجال لما يُغيظنا للتحكم بتصرفاتنا،، وبألا سمح لأنفسنا بالاستلام للغضب فقد لا يكون من السهل علينا بعد ذلك أن نُصلح ما أفسدناه بسوء تصرفنا...

انظر إلى الجانب الآخر
Look at the other side
للكاتب ت.شي. آرثر

قال السيد جونس" لست أميل على الإطلاق للسيد مونتو."

وأضاف السيد لي" أعتقد بأنه الرجل الأكثر تقلّباً وبأنه الرجل الأغرب ممن عرفت."

قال السيد جونس" أهو الرجل الأكثر تقلّباً فقط ؟ لا ! بل هو أسوأ من ذلك، فقد يكون بإمكان المرء أن يتسامح على تقلّب الطباع وأن يعتبر ذلك من العيوب الفطرية الغريبة، لكنه كما قلت أسوأ بكثير من شخص مُتقلّب الطباع ."

قالت السيدة ميبري" أتعلمون ما سمعته عنه الأسبوع الماضي؟"

" قال السيد جونس" ما الذي سمعته؟"

وسألت السيدة لي " أعلمينا بما سمعته عنه."

"أتعرفون السيد باركر؟"

" نعم أعرفه جيّداً "

" هو الرجل الأكثر تهذيباً على وجه الأرض ."

" حسناً ، وماذا بشأنه؟"

" كان الأسبوع الماضي في متجر السيد مونتو وصادف أن قال شيئاً لم يعجب ذلك الرجل وبذلك استشاط مونتو غضباً وأهانه بكل فظاظة."

" حقاً!.."

"هذا ما حدث . أعلمني السيد باركر بنفسه بذلك ، كما قال بأنه لم يسبق أن جرحه أحد بمثل تلك الطريقة."

" وهذا ما جعله بالطبع يترك العمل في المتجر."

"نعم، كان قد استدار على عقبيه وخرج من المتجر وقال بأنه لن يدخل متجر مونتو ثانية."

" ما أسوأ تلك العادة لدى السيد مونتو ، فهو يعمد دوماً إلى إهانة الآخرين .أنا أعرف عدة أشخاص سبق وأهينوا من قبله."

قال السيد جونس" لو كان هذا هو العيب الوحيد لديه لكان الأمر بسيطاً ، لكن تصرفه تجاه ذلك الشاب كان قد تعدّى الحدود وهو أمر لا يُغتفر."

قال السيد لي " ما الذي حدث ؟ لم أسمع بذلك؟"

" كان قد تولى رعاية فتى يتيم منذ كان طفلاً ويُقال بأن ذلك الفتى كان مخلصاً له على الدوام، لكن الفتى كان قد أصبح مؤخراً مُتهوّراً نتيجة اختلاطه ببعض رفاق السوء. لو كان مونتو قد تعامل مع الأمر بصبر وحِلم لما

كان ذلك الفتى قد ارتكب الأخطاء، لكن سرعة الغضب ونفاذ الصبر الذي تعامل بهما معه جعلاه يتمادى بسوء تصرفه. لكن مونتو تعامل معه بأسلوب فظّ بسبب ما ارتكبه من بعض الأخطاء التي لم تكن في الواقع بحاجة سوى لبعض التأنيب اللطيف. وهذا ما جعل طباع ذلك الشاب تُصبح أكثر سوءاً ، إلى أن تم توقيفه لمخالفته القوانين و لسوء سلوكه. كان المحامي قد طلب من مونتو أن يدفع له الغرامة لكي يتم إخلاء سبيله لكن مونتو رفض ذلك رفضاً قاطعاً .، وبذلك رُمي الفتى في السجن لمدة أربعة أشهر ثم أطلق سراحه . وبما أن الفتى شعر بأنه قد أهين من قبل رَبيبه مونتو ، فقد التحق بالجيش على الفور من إطلاق سراحه وذهب إلى الهند الشرقية. أليس هذا مُحزناً ؟ فقد دُمّر الفتى بسبب مونتو !"

قالت السيدة ميبري" هذا أمر مُروّع !... أليس كذلك؟ تخيّل لو تمت معاملة ابني أو ابنك بهذه الطريقة القاسية ! لو لم يكن هذا الرجل شيطاناً على شكل إنسان لما كان سيتصرف بهذه الطريقة."

أضافت السيدة لي:

" سوف يَلقى ذات يوم ما يستحقه من جزاء ، فأنا أؤمن بأن المرء لابد أن يَلقى جزاء ما يفعله. لايمكن لرجل ارتكب مثل هذه الأشياء أن يفلت من العقاب .، ولتتذكروا ذات يوم ما أقوله الآن.، سوف يندم مونتو حتماً على ذلك قبل موته."

" قال السيد جونس" هو الرجل الأكثر وضاعة في هذا العالم. أعتقد بأنه ليس على استعداد لأن ينفق دولاراً واحداً لأجل أعمال البرّ."

قال شخص آخر لم يكن قد أدلى برأيه سابقاً:

"لكنك قد تكون مُخطئاً في ذلك."

قال السيد جونس بتصميم " سيد بيري ، بودي لو كان بإمكان أحدهم أن يذكر لي عملاً جيداً واحداً قام به السيد مونتو."

قال السيد بيري" قد يكون بإمكاننا ذلك لو نظرنا إلى الجانب الآخر من طباع الآخرين، ولو فكرنا ملياً قبل تكوين رأينا السلبي عنهم. لو كان بإمكاننا أن ننظر إليهم من الناحية الايجابية كما ننظر إليهم من الناحية السلبية، فقد نجد فيهم ما نمتدحه أكثر مما قد ننتقده ...

سوف أروي لكم الآن ما حدث معي عندما كنت صبياً:

كان والدي قد منحني بنساً، وكنت على وشك أن أشتري به تفاحة كانت تبدو كبيرة شهيّة .، لكن شقيقي الأكبر قال لي مُحذّراً :

" انظر إليها من الجهة الأخرى ."

وعندما نظرت إليها من الجهة الأخرى وجدت بأنها كانت بالفعل فاسدة . وعندما أصبحت رجلاً كنت أتذكر دوماً الدرس الذي لقّنه لي شقيقي ، وقررت بأن عليّ ألا أخدع بالمظاهر الكاذبة، وأن أكون حَذراً يَقظاً وبأن أنظر دوماً إلى الجانب الآخر لكي أكتشف ما قد يكون فيه من عيوب .

وقد رأيت طوال حياتي ما يكفي لإثبات ذلك وحتى لدى أفضل الرجال مما جعلني أشمئز من جميع البشر. ثم مرت لكنني بعد عدّة سنوات تمكنت من تغير عادتي في مراقبة الناس وبدأت أنظر إليهم دوماً من الجانب الآخر وأحاول معرفة الجانب الجيد فيهم. وقد دُهشت وسُعدت لتلك النتيجة لأنني بذلك استطعت أن أكتشف الكثير من الخير في البشر وبأكثر مما توقعت.، فحتى الأسوأ من بينهم كانت لديه بعض الصفات الحميدة التعويضية."

قال السيد لي" لكنك لن تجد الكثير منها لدى السيد مونتو."

سأله السيد بيري" هل تُشاهد الرجل الذي يمرّ الآن في الجهة الأخرى من الشارع؟"

" من؟ أهو ميلير؟"

" نعم، هذا من قصدت الإشارة إليه، سوف أستدعيه إن لم يكن لديكم أي اعتراض لكي أوجه إليه سؤالاً أو سؤالين. وأعتقد أن بإمكانه أن يُزودنا ببعض المعلومات عن الموضوع الذي نتحدث عنه."

وبذلك تم استدعاء الرجل إلى متجر السيد جونس الذي كان ذلك النقاش يدور فيه.

قال بيري" عِمت صباحاً سيد ميلير ؟ كيف حالك اليوم؟"

"عِمت صباحاً سيد بيري ! يبدو أن لديك هنا شبه احتفال ، وهم جميعاً من الأصدقاء كما أرى..."

" كنا قد تقابلنا سابقاً على ما أذكر. كيف تسير الأمور معك الآن ؟ علمت بأنك كنت قد مررت بالكثير من الصعوبات."

"نعم، شكراً الله ! وقد خرجت منها سليماً."

" هذا أمر يستحق تهنئتك عليه بالتأكيد ، لابأس فنحن نحن جميعاً نتعرّض في مَسيرة حياتنا إلى بعض المشكلات."

" نعم بالفعل، قد تُعاكسنا الظروف أحياناً بشكل قاسٍ، لكن ذلك يجعلنا نمتحن أصدقاءنا بذات الوقت . كان الأمر هكذا بالنسبة إلي. كنت أعتقد بأن لدي العديد من الأصدقاء إلى أن تعرّضت لتلك المشكلات.، لكن القليل منهم كان من وقف إلى جانبي عندما كنت في أمس الحاجة لمساندتهم."

" لكنك كنت مع ذلك قد قابلت بعض الأصدقاء الحقيقيين ؟"

" نعم، كانوا بالفعل من الأصدقاء الحقيقيين."

" أعتقد أيضاً أنهم كانوا بين من ليست لديهم أية مصلحة ، وممن لم يكن لك عليهم أية حقوق."

" تماماً ، كان الأمر هكذا بالنسبة إلي ومع شخص مُحدد. وسوف أروي لكم ما حدث معي:

"ما حدث أنني كنت من خلال الأخطاء التي ارتكبتها، وهو الأمر الذي لا أبرره لنفسي، قد تسببت بتراجع أعمالي التجارية وبما جعل الديون تراكم عليّ. كنت قد ضحيت بعرض القليل مما أملكه للبيع لكنه لم كافياً لتغطية ديوني ولسدّ احتياجاتي.، كما كنت أملاً بالنجاة من تلك المحنة، قد انتقلت من المتجر الفخم الذي كنت أشغله إلى متجر بنصف القيمة الإيجارية لكي أقتصد في المصروفات في كل من مجال العمل و في

المصروفات العائلية أيضاً . لكنني رغم الجهد الكبير الذي بذلته ، لم أتمكن من سداد ما علي من ديون ومن تغطية احتياجاتي العائلية.

كنت أمضي نصف اليوم في الشارع وأنا أقوم ببعض العمليات التجارية العَرَضية للحصول على بعض المال، إلى أن أُرهقت إلى درجة الموت وأنا في سعي اليومي لتجنب الإفلاس.

وكنت وأنا في ذلك الموقف المحزن أحاول الحصول على بعض المساعدة من الأصدقاء الذين تتوفر جميع الإمكانيات المادية لمساعدتي وهو ما كنت أعرفه جيداً، لكنهم جميعاً أبدوا خِشيتهم من المجازفة بإقراضي أي مبلغ من المال.

وكنت ذات يوم قد خرجت للعمل من التاسعة صباحاً حتى الساعة الثانية وأنا أبذل أقصى ما بإمكاني للحصول على ما يكفي من مال أسدّد به ما علي من ديون فقد كان علي أن أسدّد ألف دولار في ذات اليوم ،. ولم يكن لدي سوى خمسمائة دولار. قصَدت كل شخص يمكن أن أقترض منه المال ولكن لم يقبل أحد مساعدتي. كنت مُحبطاً ومُتوجساً من ذلك الوضع المحفوف بالمخاطر التي يُواجهني.، ثم عدت إلى متجري لكي أختلي بنفسي وأحاول التفكير بما علي أن أفعله.

فكرت مُجدداً باللجوء إلى من أعرفهم في مجال عملي لكن لم يكن من لم أكن قد قصدته، لذا فكرت بأن أطلب قرضاً بفائدة. كانت الأمور سيئة جداً، وكان الوقت يمرّ ولم يكن ذلك في صالحي. كان علي أن أفعل شيئاً وأن أجد أية طريقة لتأمين الخمسمائة دولار وإلا فسوف يتم إعلان إفلاسي وسوف تصبح صفحتي سوداء في عالم الأعمال وخلال أقل من الساعة...

فكرّت وفكرّت إلى أن كدت أفقد صوابي. ثم خطر ببالي أن ألجأ إلى رجل لم أكن قد أحببته يوماً. كنت أعرف ذلك الرجل معرفة بسيطة وكنت أعلم بل أفترض بأن لديه الإمكانية لإقراضي ما أحتاجه من مال.لم أكن في بداية الأمر قد تقبلت فكرة اللجوء إليه، لكن الأمور كانت في غاية الخطورة وبذلك قررت أخيراً الذهاب لمقابلته وأنا أحدث نفسي:

" سوف أحاول لكنه لابدّ أن يرفض طلبي."

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية أي أن ساعات العمل كانت قد انتهت. وعندما قابلته أمام مكتبه قلت له على نحو مفاجئ:

" أنا أعلم بأن الساعة تجاوزت الثانية لكنني بحاجة إلى خمسمائة دولار فهل بإمكانك أن تقرضني هذا المبلغ لبضعة أيام؟"

كنت أتوقع بالطبع أن يرفض ذلك لكنه، ولشدة دهشتي قال على الفور:

" بإمكاني أن أفعل ذلك بالطبع وبكل سرور."

لم أكد أصدق ما سمعته لكنه ناولني على الفور شيكاً بالمبلغ الذي طلبته. لست أذكر فيما إذا كنت قد وقفت لكي أشكره لكثرة ما كنت فيه من بهجة ولكثرة ما شعرت به من راحة ومن فرج.

و بعد ثلاثة أيام ذهبت إليه من جديد لكي أعيد إليه المبلغ الذي اقترضته. لكنه قال لي:

" بإمكانك أن تحتفظ به لمدة أطول إن رغبت بذلك، فلست بحاجة إليه في الوقت الحاضر."

لم أكن أعلم فيما إذا كان بإمكاني أن أثق بما قاله ، لكن الحاجة لها مبرراتها. لذا أجبته:

"إن كان بإمكانك بالفعل أن تستغني عن المبلغ لفترة أطول فسوف يكون ذلك مفيداً جداً لي لأن علي الكثير من الدفعات خلال الأيام العشر المقبلة."

قال لي بلطف " على الرحب والسِعة ، بإمكانك الاحتفاظ به بقدر ما تشاء.."

كما كان بعد قليل قد بدأ يستفسر مني عن سير الأمور وعن سبب ما حدث معي.، لكنه كان قد فعل ذلك بكل لطف واهتمام مما جعلني أروي له كل ما أتعرض إليه من مشكلات في أعمالي...

وكان بعد أن أصغى إلي بكل اهتمام قد طرح عليّ بعض الأسئلة عن طبيعة وعن أرباح أعمالي، ولم أكن قد أخفيت عنه أي شيء يتعلق بسير الأمور في أعمالي، ثم قال لي:

" سيد ميلر ! أنت الآن بالفعل بحاجة إلى المساعدة. لدي بضعة آلاف من الدولارات في المصرف وهي حالياً غير مستثمرة.، بإمكاني أن أمنحك المبلغ الذي تحتاجه لكي تُسدد به كل ما عليك من ديون . لن يكون عليك بعد الآن أن تقترض المزيد من المال بالفائدة ولا أن تُضيع وقتك بأعمال عَرضية للبحث عن الموارد . كل ما عليك الآن أن تُركّز اهتمامك وجهودك على أعمالك وسوف تجد بأنك، خلال بضعة أشهر، سوف تحرّر من جميع ما لديك من مشكلات... وكان ذلك الرجل على حقّ!."

قال السيد جونس" لابد أنه رجل نبيل جداً ، ومن المؤسف ألا يكون هناك الكثيرون ممن هم مثله."

وقالت السيدة بيري" الأمر كذلك بالفعل. لابد أنه ينتمي إلى فئة أخرى من البشر وبأنه ليس مثل مونتو."

سألها ميلير " من تقصدين بذلك؟"

قال السيد بيري " كنا قبل مجيئك نتحدث عن مونتو .، وكان لأصدقائنا رأي سيء عنه."

" ماذا؟ أكان لكم رأي سيء عن السيد مونتو؟ حقاً ؟ لكنه الرجل الذي كنت أحدثكم عنه."

قالت السيد لي بارتباك" أكنت تتحدث عن السيد مونتو؟"

" بالتأكيد كان هو الشخص الذي ساعدني بمثل تلك الشهامة."

وقالت السيدة ميبري " هذا مستحيل!"

" لا، أبداً ، بل هذا هو الواقع. لم أكن قد أخطأت بحق شخص كما أخطأت بحق السيد مونتو . صحيح أن لديه عيوبه وأغلاطه كما أن لدى كل منا عيوبه .، وبأنه ربما كان سريع الغضب وضيق الصدر ، وهذا ما يتسبب بأن يكون له الكثير من الأعداء."

قالت السيدة ميبري:

" من الواضح أنه كان طيباً جداً معك . لكنني مع ذلك لا أثق به كثيراً. انظر إلى الطريقة التي تعامل بها مع ذلك الشاب الذي كان قد تولى رعايته منذ كان طفلاً. هذه هي طباعه الحقيقية، وهذا ما يُثبت بأنه من النوع القاسي الحقود."

قال السيد بيري " لكن لابدّ أن هناك جانب آخر في تلك القصة ودون شك."

قال السيد ميلير " هذا هو الأمر ، وعلينا أن ننظر إلى الأمر من ذلك الجانب الآخر . كان مونتو يعرف ذلك الشاب أكثر بكثير مما نعرفه أنا وأنت أو أي منا.، وكان قد احتمل طباعه غير السويّة وتصرفه السيئ لسنوات كما لو أنه ولده، وأكثر مما يمكن لأي شخص أن يحتمل ذلك.

"قال السيد جونس" كانت له دون شكّ طريقته الخاصة في الاحتمال فليس بإمكانه أن يحتمل أحد."

قال ميلر " هل ستحكمون على الشخص بالاستناد إلى ما ليس بإمكانه أن يمتنع عنه."

" لست أدري لِم ليس علينا أن نفعل ذلك."

" من الواضح أنه ليس علينا أن نفعل ذلك، لأن ما نطلبه سوف يكون من المستحيل. السيد مونتو ،كما نعرفه جميعاً من النوع السريع الانفعال. فهل أخذتم ذلك بعين الاعتبار؟ كان قد تبنى ذلك الفتى مذ كان طفلاً وتولى تدريسه وتدريبه على مهنة التجارة.، لكن الفتى عندما أنشأ كان قد بدأ يستغل الثقة التي أولاها له الشخص الذي أحسن إليه ، وبدأ يُهمل عمله ويرافق أصدقاء السوء ثم بدأ بسرقة أمواله...

وكان مونتو يحتمله على أمل أن يتغير . لكنه أصبح أسوأ فأسوأ إلى تم أخيراً، وبعد عدة اختلاسات الحكم عليه بالسجن.

كنت بالصدفة في متجر مونتو عندما جاء إليه المحامي لكي يطلب منه دفع الغرامة والكفالة لأجل ذلك الفتى . وكان قد قال لذلك المحامي :

"لن أفعل ذلك، فمن الأفضل له بكثير أن يكون في السجن من أن يكون خارج السجن." .

وكان مونتو عندما غادر المحامي قد التفت إلي وقال :

" سيد ميلر ، أنا الآن أتألم جداً لرفضي دفع الكفالة وأكثر مما كنت قد تألمت طوال حياتي.، ومع ذلك، فسوف أكون قد أخطأت بحقه لو دفعت له الكفالة .، لأن العتاب اللطيف والتأنيب القاسي والتعنيف الغاضب لم يُفلحا معه. لذا سوف أتركه الآن يلقى جزاء أفعاله على أمل أن تكون النتائج مفيدة، ولو فشل ذلك في إصلاحه فلن يكون هناك أي أمل آخر بالنسبة إليه...

كان الأمر قد تم بذلك الشكل .لم يكن مونتو قد حضر المحاكمة لكنه أرسل من يُعلمه بالإجراءات التي تمت. كما كان قد شعر بالكثير من السعادة عندما تم إخلاء سبيل الفتى وتوقع أن يعود الشاب للعيش معه وبأن يكون قد تغير وندم وتاب. لكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة وحزن جداً عندما عَلم بتطوّعه في الجيش وقد آلمه ذلك جداً ...

ولو كان ذلك الفتى قد ندم على سلوكه لكان الحكم على مونتو خاطئاً. كان مونتو يريد له الخير ولست أعتقد بأنه أخطأ بحق ذلك الشاب فهو لا يصلح إلا لمثل العمل الذي يشغله الآن وبذلك كان هذا من الأفضل له."

عندما توقف ميلير عن التحدث قال السيد بيري:

" أترون ؟ هذا هو الأمر وهذا ما نكتشفه عندما ننظر إلى الجانب الآخر في الأشخاص ."

قال السيد ميلير" هذا هو الواقع . نعم ، هناك دوماً جانب جيّد في كل شخص ... هناك دوماً جانب آخر... وعلينا أن ننظر إلى الجانب الجيّد في الأشخاص بدلاً من أن ننظر إلى الجانب السيئ فيهم وسوف نكون بذلك قد فكرنا بأكثر من إيجابية بالبشر ...

الإيمان، الوقت والعزيمة
Faith , Time and Energy
للكاتب ت.ش. آرثر

قال السيد غوردون" لست أرى بأنني قد أصبحت الآن بوضع أفضل . خسرت عملي في ذات اليوم الذي وقعّت فيه على ذلك العهد، كما لم يعد لدي أي عمل ثابت."

قال الشخص الذي كان يشكو إليه :

" لكنك كنت ستخسر عملك حتى لو لم تُوقّع على ذلك العهد."

" نعم ، أنا أعترف بذلك . فأنا قد خسرت عملي لأنني كعادتي السابقة كنت قد ثملت وبذلك وقعت في الخطأ الذي أدى إلى صرفي من عملي. لكن من يسمع ما يُقال عن الأشخاص المستقيمين ، يعتقد بأن من يأخذ على نفسه مثل هذا العهد سوف تتحسن أموره على الفور ، وسوف يحصل على الكثير من المال ... يجب أن أعترف بأنني لم أجد الأمر بهذا الشكل فقد تناقصت مواردي أكثر من أي وقت مضى. لم يعد لدي حتى ما يكفي لإعالتي أو لإعالة أفراد عائلتي بالمستوى الذي اعتادوا عليه، رغم أنني لا أنفق سنتاً واحداً على نفسي."

" لكن مثل هذا الأمر كان سيحدث حتى لو لم تكن قد أخذت على نفسك مثل هذا العهد."

"نعم ، أعتقد ذلك ، لكن ليس بإمكاني منع نفسي من أن أشعر بالإحباط لما آلت إليه الأمور . لو كنت أحصل الآن على ما كنت أحصل عليه من أجور في السابق ، لكان بإمكاني أن أتدبر الأمور ، أما الآن فقد أصبح عليّ أن أقتصد إلى آخر حدّ لكي لا أغرق بالمزيد من الديون."

" لكنك تتدبر أمورك الآن بشكل جيد."

"نعم"

" وهذا يتم بما يُعادل نصف دخلك السابق."

" نعم بل هو بأكثر من نصف دخلي السابق بقليل. كنت أحصل على عشرة دولارات في الأسبوع، وأنا الآن أحاول أن أتدبر أموري بالقيام ببعض الأعمال العَرضية هنا وهناك بحوالي الست دولارات."

" فإذن أنت الآن بوضع أفضل من ذي قبل."

" لست أفهم كيف بإمكانك أن تنظر إلى الأمور بهذا الشكل."

" لدى عائلتك ما يكفيها للعيش بكرامة وهي تحصل على كل ما كان لديها في السابق، كما أنك بصحة جيدة وتشعر بالسكينة أكثر من السابق ، أليس هذا من الأمور الجيدة؟"

أجاب غوردون وهو يبتسم " من الأفضل لي أن أقنع نفسي بأنني أتمتع الآن بكل ذلك."

" وأنا أيضاً أعتقد ذلك. أليست زوجتك الآن أكثر سعادة؟"

" نعم ! وهي تبدو مُبتهجة طوال اليوم ."

" هل تشكو زوجتك من انخفاض دخلك؟"

" لا، في الواقع هي لا تفعل ذلك على الإطلاق، وأعتقد بأنني لو كنت لن أحصل على أكثر من ثلاثة دولارات في الأسبوع لكانت أيضاً سوف تتدبر الأمور بشكل أو بآخر وسوف تظلّ مُبتهجة. في الواقع هذا التغيير الذي حصل في طباعها أمر رائع جداً."

" وأنت مع كل ذلك لا تشعر بأنك بوضع أفضل ؟ أليس من الأفضل أن تكون إلى جانبك زوجة سعيدة وأن يكون لديك عائلة مبتهجة ؟ أنا على يقين بأنك لم تكن تنعم بذلك من قبل."

" أنت على حقّ، من المؤكد بأنني لم أكن كذلك في السابق. نعم بالفعل!... أنا حالياً بوضع أفضل من جميع من هم حولي. شعرت ببعض الإحباط لأنه لم يعد لدي عمل ثابت أو راتب جيد، فلو كان لدي ذلك لكنت أسعد حالاً بكثير."

"كُن حليماً يا صديقي، وسوف تصبح الأمور أفضل مع مرور الوقت. هناك ثلاث كلمات على كل رجل صالح أن يكتبها على جميع جدران غرفته لكي ينظر إليها كل صباح هي: " الإيمان، الوقت، والعزيمة " لا يهم إن كنت قد أخفقت، لا يهم إن كانت الأمور تبدو لن مُثبطة. عليك أن تتحلى بالإيمان والعزيمة، ولابدّ أن تسير جميع الأمور جيداً مع مرور الوقت."

وبذلك ذهب غوردون إلى منزله وهو يشعر بأنه بوضع نفسي أفضل مما كان عليه قبل اجتماعه بذلك الصديق المُعتدل المزاج الذي قال له تلك الكلمات المُشجعة.

كان هنري غوردون عندما تزوج قد بدأ مشروعاً خاصاً به وكانت أموره قد سارت بشكل جيد جداً لعدة أعوام . كان قد حصل على ما يكفي من مال لكي يشتري منزلاً صغيراً هادئاً ، كما كان بإمكانه أيضاً أن يحصل على بعض الممتلكات الأخرى، إلى أن استولت عليه عادة الإسراف في الشراب ثم بدأت تلك العادة تتملكه تماماً وبالتدريج ، وبدأ يُهمل عمله إلى أن قاده ذلك إلى الإفلاس وبذلك اضطر آخر الأمر إلى بيع ممتلكاته.

كان بذلك قد أضاع كل ما بناه لنفسه طوال تلك السنوات، واضطر للعمل صانعاً لدى الآخرين لكي يُعيل عائلته. ومع ذلك كان يُنفق نصف ما يحصل عليه من أجر أسبوعي على الشراب مما جعل وضع عائلته يؤول من سيء إلى الأسوأ ، لكن زوجته البائسة كانت الطرف الذي عانى أكثر لكي تؤمن الطعام والكساء لأطفالها.

ولم يكن ذلك كل شيء، فقد تراكمت الديون على غوردون مما جعله يعجز عن سدادها. كان اثنان من الدائنين أكثر تطلّباً من الآخرين وبذلك تم الحجز على أثاث بيته و بيعه لتحصيل الديون وبذلك لم يتبق لتلك العائلة البائسة سوى القليل جداً من الاحتياجات الضرورية التي سمح بها القانون.

كانت الأمور بذلك السوء عندما عاد غوردون ذات يوم من المتجر الذي يعمل فيه بوقت أبكر من المعتاد ، دهشت زوجته عندما شاهدته وسألته:

" ما الأمر غوردون هل أنت مريض؟"

أجابها بكآبة " لقد تم صرفي من العمل."

" هل تم صرفك من العمل بالفعل ولماذا؟.."

" لأنني أفسدت عملي."

قالت السيدة غوردون بلطف رغم ما كانت فيه من قلق وأسى" كيف حدث ذلك؟"

أجابها غوردون بصوت ينمّ عن المرارة :

"حدث ذلك كما حدثت لي جميع المتاعب في السابق. كنت قد شربت أكثر من المعتاد و... و..."

قالت زوجته وهي لاتزال تتحدث بلطف:

" وهذا ما أدى إلى إفسادك عملك."

" نعم، لعن الله اليوم الذي بدأت فيه أتناول الشراب ! كان الشراب سبب كل ما تعرضت إليه حتى الآن من بلايا."

" هنري ، لم لا تتركه على الفور وإلى الأبد ؟"

" ليس من السهل علي أن أفعل ذلك."

" لقد فعل ذلك مئات الأشخاص قبلك وهناك يومياً من يفعلون ذلك وهذا ما عليك أن تفعله أنت أيضاً. كل ما عليك أن تُصمّم على كسر هذه الأغلال التي تُقيدك وأن تتحرّر منها. لندع كل ما جرى يمرّ، كنت تصرفت بحماقة وجعلت عائلتك تعاني أكثر مما يمكن وصفه وأعتقد الآن أن هذا يكفي.كل ما عليك أن تقرر ذلك، وسوف يكون المستقبل أكثر إشراقاً بالنسبة إلينا جميعاً."

كانت عينا السيدة غوردون وهي تُناشده بذلك ، قد اغرورقتا بالدموع رغم الكثير من الجهد الذي بذلته للتظاهر بالهدوء. وهذا ما جعل غوردون يشعر بأن روحاً جديدة قد استيقظت في نفسه. كانت قد استعرت في نفسه معركة داخلية بين الشرّ والخير لكن الخير كان من انتصر في النهاية.

وبذلك قال وهو يتوجه نحو الباب ويغادر المنزل بسرعة:

" سوف آخذ على نفسي عهداً بعدم العودة إلى الشراب."

كانت الساعة التي مرت على السيدة غوردون بين خروج زوجها من المنزل وبين عودته من أسوأ ساعات حياتها . كان القلق يعذبها وكانت يدها ترتجف مما جعلها لا تقوى حتى على الإمساك بإبرة الخياطة وبذلك اضطرت أن تترك جانباً ما كانت تُخيطه لكي تنشغل بأعمال منزليه أخرى.

وعندما عاد غوردون بعد ساعة فتح الباب وأسرع إلى زوجته وهو يحمل بيده وثيقة العهد، وأشار بالوثيقة لزوجته وقال :

" ماري لقد وقعت في الكنيسة على عهد بعدم العودة إلى الشراب، وها هي الوثيقة وعليها توقيعي."

أشرق وجه زوجته على الفور وبدأ دموعها تسيل على خديها ثم وضعت رأسها على كتفه وهي تُمسك بإحدى يديه بقوة بين يديها وقالت:

" سوف تسير الأمور جيداً منذ اليوم !"

" ولكن ماري ، أنت ترين بأنه لم يعد لدي عمل ثابت، وقد تم صرفي من العمل اليوم. ما الذي بإمكاني أن أفعله؟"

" بما أنك وقعت الآن على هذا العهد فلابد أن يُعيدك السيد إبفنلي إلى عملك ."

قال غوردون " قد يفعل ذلك ! سوف أذهب غداً لمقابلته." أعدت السيدة غوردون لزوجها كأساً من الشاي ووجبة عشاء شهية ، وبذلك كان جو من الراحة قد انتشر في ذلك المنزل الذي لم تكن البهجة قد دخلته من وقت طويل وهو ما شعر به غوردون أيضاً.

في صباح اليوم التالي ذهب غوردون من جديد إلى المتجر الذي طُرد منه في اليوم السابق.، لكن مالك المتجر كان جلفاً عديم الإحساس بالآخرين ، ذلك لأنه كان قد احتفظ بغوردون لديه شهراً بعد شهر لحاجته إلى خدماته.، لكنه في ذات اليوم الذي تلا صرف غوردون، كان قد استخدم من يقوم بعمله وبإصلاح ما أفسده من أعمال.

وبذلك عندما دخل غوردون إلى المتجر لكي يطلب من إبفنلي إعادته إلى العمل استقبله إبفنلي بفظاظة وقال له على الفور من دخوله من الباب:

" رجاءً، ما الذي تريده ؟"

أجاب غوردون " أريدك أن تُعيدني إلى العمل . لقد تعهدت بعدم العودة إلى تناول الشراب وأنا أعتزم العيش باستقامة من الآن فصاعداً ."

" هل فعلت ذلك."

" نعم سيدي، وقعت أمس على هذا التعهد بعد أن صرفتني من الخدمة."

سأله إبفنلي " وكم من الوقت تنوي الالتزام بذلك ؟أهذا إلى أن تصل إلى أول متجر لبيع المشروبات؟"

أجابه غوردون بجدية وكان أسلوب الازدراء في حديث رئيسه في العمل قد جرح مشاعره :

" لقد تعهدت بذلك لمدى الحياة، وبذلك لن تواجه أية متاعب معي بعد الآن."

" أعلم ذلك. لن أواجه أية متاعب معك بعد الآن لأنني لا أنوي إعادتك إلى العمل في متجري."

قال الرجل البائس " لكنني أقلعت عن عادتي السابقة سيد إبفنلي، ولن أتسبب لك بأية مشكلات بعد الآن."

أجابه إبفنلي بفظاظة:

" لافائدة من تحدثك إلي الآن لأنني كنت أريد التخلص منك منذ مدة طويلة وقد نجحت في ذلك أخيراً . تم إشغال مكانك بعامل آخر ولم يعد هناك ما تقوله حول هذا الموضوع ، عِمت صباحاً."

وكان ذلك الرجل قد استدار على عقبيه وترك غوردون مشدوهاً بما سمعه منه.

ثم قال له أحد زملائه السابقين في العمل كان قد سمع ما دار بين غوردون وربّ العمل:

" لقد فعل ذلك أخيراً، قلت لك سابقاً بأنه سيفعل ذلك."

وبذلك غادر ذلك الرجل البائس المتجر وهو يشعر بالبؤس أكثر مما شعر به في أي وقت مضى وكان في طريق للعودة إلى منزله قد تمتم بمرارة:

" هذا ما لقيته مع أول جهد أبذله لكي أسير في طريق الصلاح."

ثم سمع من يناديه " أهلاً غوردون ! إلى أن أنت ذاهب؟"

استدار ووجد نفسه أمام باب أحد المنازل القديمة وكان من ناداه المسؤول عن المبنى.

" تعالّ، دعني أشاهد وجهك المحبب ! أين أمضيت الليلة الماضية؟ يفتقدك الجميع وقد شعرنا بالملل بدونك وكأننا في مأتم."

قال غوردون وهو يَصرّ على أسنانه ويبتعد عن المكان:

" لعنك الله ولعن صحبتك أيضاً.."

" غوردون... ما الذي دهاك؟"

لكن غوردون لم يتوقف لكي يسمع ما يقوله ذلك الرجل الذي كان أحد الرجال الذين ساهموا في تدميره.

وعندما دخل غوردون إلى منزله ،رمى بنفسه على أحد المقاعد وقال بيأس :

" ماري، انتهى كل شيء ولم يعد هناك أي أمل بالنسبة إلينا، فقد تم تكليف شخص آخر بعملي."

سألته السيدة غوردون بصوت مرتعش:

" لكن ألم يقم السيد إبفنلي بتكليفك بعمل آخر لديه؟"

" لا، لقد أهانني وطلب مني ألا أدخل متجره بعد الآن."

" ألم تُعلمه بأنك وقعت على التعهّد ؟"

" نعم ، لكن ذلك كان دون فائدة ، كما أنه لم يهتم بي أكثر مما قد يهتم المرء بكلب."

ثم غطى ذلك الرجل اليائس وجهه بيديه وبدأ يبكي وعندما رفع رأسه قال:

" ما الذي سيحلّ بنا ماري وما الذي علينا أن نفعله؟ فليس هناك أي متجر آخر في البلدة. أليس هذا مؤلماً؟ وأن يحدث ذلك في الوقت الذي قررت فيه أن ألتزم بالسلوك القويم.؟"

" لا تستسلم لليأس هنري، دعنا نتكل على الله تعالى . ليست سوى فترة عصيبة.، نعم، إنه وقت عصيب لكنه بالنسبة إلي أكثر بهجة من أي وقت كنا قد مررنا به منذ سنوات. لديك أيد قوية وذهن صاف ولن يمرّ وقت طويل إلا وتكون قد حصلت على عمل.، أنا لن أيأس يا زوجي العزيز، كما أن عليك ألا تيأس أنت أيضاً. تمسك جيداً بتعهدك وسوف تجتاز هذه المحنة."

" لكننا سوف نتضور من الجوع ، فليس بإمكاننا أن نعيش على الهواء."

" أجابت السيدة غوردون" لن نفعل ذلك بالطبع ، وبإمكاننا أن نعيش براحة تامة وأن نكتفي بنصف ما كنت تحصل عليه من مورد من عملك. أعتقد أن بإمكانك أن تعثر على عمل بخمسة دولارات في الأسبوع ، أليس كذلك؟"

" يبدو لي ذلك ممكناً . سوف يكون بإمكاني بالتأكيد أن أحصل على خمسة دولارات في الأسبوع لو عملت في نشر الخشب، لكنني سأفعل ذلك .. سوف أفعل أي شيء."

" عليك إذن ألا تتوتر . كما أنني سأحاول الحصول على عمل في الحياكة لكي أساعدك. لذا عليك أن تبتهج هنري. سوف تيسير الأمور جيداً. سوف يستغرق ذلك بعض الوقت لكن الوقت والجهد سوف يُحققان لنا كل ما نسعى إليه وما نرغب به."

وكان غوردون بذلك قد تشجّع من جديد وخرج لكي يبحث عن عمل آخر. كان ذلك الأمر جديداً عليه بالطبع ، بأن يكون عليه الذهاب للبحث عن عمل سوف يكون على الأغلب من الأعمال الشاقة، وأن يكون عليه أن يتوسل تقريباً للحصول عليه...

لم يكن غوردون يعلم إلى أين عليه أن يذهب ؟ وإلى من عليه أن يتوجه بالسؤال عن عمل. وكان وهو في تلك الحال من القنوط، قد شعر بما يدفعه إلى أن يُغرق جميع أحزانه ومشاكله بالعودة إلى الشراب.، لكنه فكّر بزوجته وبالأمل الذي أشرق في قلبها بأن يكون قد أقلع نهائياً عن الشراب، مما جعله يتراجع عن ذلك...

عندما عاد غوردون إلى المنزل وشاهد زوجته مستغرقة في الحياكة قال لها بيأس :

" ماري ، لافائدة من المحاولة ماري فليس بإمكاني الحصول على أي عمل."

أجابته السيدة غوردون بهدوء :

" لكنني كنت أفضل حظاً منك. ذهبت اليوم لمقابلة السيدة هويت وكان لديها ما تكلفني بحياكته، وأنا الآن أحيك لها عشرة قمصان. لا تفقد الأمل بهذه السرعة ، فبإمكاننا الانتظار لأسبوعين أو لثلاثة أسابيع ريثما تعثر على عمل. دعنا نشكر الله على ما حصلنا عليه اليوم، ولنتوكل عليه بالنسبة إلى الغد. توكل على الله لأنه لا يتخلى عمن يسلك السلوك القويم.

كان هذا ما فعلته السيدة غوردون لكي ترفع من معنويات زوجها . وبذلك ذهب السيد غوردون من جديد بعد العشاء لمقابلة رجل يُعرف بنفوذه في البلدة.، وكان ذلك الرجل بعد أن روى له ما فعله وبعد أن أطلعه على الوضع السيئ الذي هو فيه لعدم حصوله على عمل قد قال له:

"اطمئن غوردون، لن تبقى عاطلاً عن العمل، هذا واضح تماماً لأن الرجل العاطل عن العمل لابدّ أن يخضع للإغراءات أكثر من غيره.، فقد يجعلك ذلك تعجز عن المحافظة على عهدك، لذا علينا أن نساعدك في الحصول على عمل. ما الذي بإمكانك أن تفعله عدا عن عملك في مجال التجارة؟"

قال غوردون " ليس لدي الكثير من المهارات الأخرى لكنني بصحة جيدة كما أن لدي المقدرة والإرادة وكذلك الرغبة في العمل... أعتقد بأنها من الأمور التي يمكن أن تُفيد في شيء ما."

" وأنا أيضاً أعتقد ذلك. علينا أن نبدأ منذ اليوم ، سوف أعلمك الآن بما ستفعله: لو كان بإمكانك أن تأتي إلى متجري كل صباح قبل قدومي لكي تفتح المتجر وتشعل النيران وتنظف المكان،، وأن تعود في فترة الاستراحة لكي تمكث في المتجر لمدة ساعة خلال تناولي الغداء، فسوف أمنحك ثلاثة دولارات في الأسبوع،، كل ما أحتاجه منك هو العمل لساعتين في اليوم."

قال غوردون وقد أشرق وجهه:

" أشكرك سيدي من كل جوارحي!.. وأنا أقبل عرضك بالطبع. هذا يكفيني في الوقت الحاضر."

" حسناً ، بإمكانك أن تبدأ من صباح الغد. أعتقد أن بإمكانك أيضاً أن تحصل على ما يعادل هذا المبلغ لو عملت في المتاجر المجاورة بحمل بعض الأشياء الخفيفة ،، بإمكاني أن أؤمن لك مثل هذا العمل . سوف أتحدث بذلك إلى زملائي في الجوار."

وهكذا لم يكن في كل البلدة في تلك الليلة من هم أكثر سعادة من عائلة هنري غوردون رغم ما كانوا فيه من فقر ، حيث قالت السيدة غوردون:

" كنت أعلم بأن الأمور لابدّ أن تسير جيداً... كنت أعلم بأن يوماً أفضل سوف يأتي عما قريب... بإمكاننا أن نعيش بكل راحة على مبلغ ستة دولارات وأن نكون أكثر سعادة مما كنا في أي وقت مضى..."

ولم يكن غوردون، وهو يتذكّر ما فعله في الماضي، قد عجب من أن تكون الدموع قد بدأت تسيل على وجه زوجته رغم محاولتها الابتسام.

كان غوردون كما توقع ذلك الصديق ، قد قام بالكثير من الأعمال لديه ولدى من هم في الجوار وبذلك حصل خلال بضعة أسابيع على خمسة دولارات في الأسبوع كانت تصل أحياناً إلى الخمسة دولارات أو الستة دولارات.

واستمر الوضع على هذا المنوال لبضعة أشهر، ثم بدأ غوردون يفقد عزيمته من جديد. كان في كثير من الأحيان يعود بذاكرته إلى الأيام المشرقة السالفة ويشعر برغبة مُلّحة بتحسين وضعه لأجل زوجته وأولاده. كان يتمنى أن يستعيد ما خسره لكن لم يكن بإمكانه أن يأمل بإمكانية تحقيق ذلك في وقت قريب. كانت الستة دولارات في الأسبوع الحدّ الأعلى لموارده ،، لكن ذلك المبلغ بالإضافة لما كانت تحصل عليه زوجته من عملها، كان كافياً لأن يجعل الأمور تسير في منزله بشكل مقبول نسبياً.

كنت في بداية سردي لهذه القصة، قد أشرت إلى أن غوردون كان بوضع نفسي سيء جداً وأكثر من السابق، لكن ما قيل له جعله يشعر ببعض الأمل والبهجة. وبذلك حدّث نفسه وهو يمشي بخطى أكثر ثباتاً:

" الإيمان، الوقت والعزيمة ." نعم ، هذا ما سوف يجعل الأمور تسير جيداً في النهاية. لن أكون ضعيفاً ولن أستسلم لليأس. سارت جميع الأمور أفضل من السابق،، ونحن الآن أكثر سعادة وبوضع أفضل وعلي أن أثق دوماً بكل إيمان بالوقت وبالعزيمة !"

لكن غوردون عندما فتح باب مسكنه المتواضع وجد رجلاً بانتظاره . قدّم له ذلك الرجل ورقة صغيرة وقال له:

" يودّ السيد بليك بمعرفة فيما إذا كان بإمكانك أن تُسدد له الآن المبلغ المُستحق عليك ؟"

السيد بليك هو صاحب متجر للبقالة، يدين له غوردون بمبلغ عشرة دولارات منذ أكثر من عام . كان بليك قد طالب ذلك السكّير البائس بالمال إلى أن تعب من ذلك مما جعله يتخلى عن الأمر، لكنه عندما علم مؤخراً بأن غوردون قد وقّع على ذلك التعهّد وبدأ يعمل . حدّث نفسه:

"لا زال لدي بعض الأمل في تحصيل الدين"

وبذلك قام على الفور بتجديد فاتورة المطالبة وأرسلها إليه دون أن يهتم فيما إذا كان الوقت قد حان لقيامه بذلك ،أو أن يكون في ذلك ما قد يجعل ذلك الرجل البائس ييأس من جديد مما سيقوده إلى عادته السابقة في الإسراف في الشرب. كان كل ما يريده بالطبع هو تحصيل المال المستحق الدفع وبأية طريقة.

لكن إجابة غوردون عندما طولب بالمبلغ كانت :

" أرجو أن تُعلم السيد بليك بأنني سوف أسدد له المبلغ في أقرب وقت، لكن ليس بإمكاني أن أفعل ذلك على الفور."

وبذلك استدار ذلك الرجل وغادر المنزل .

لكن ما حدث كان له تأثيره على غوردون بحيث تراجعت نفسيته المتفائلة من جديد إلى نقطة الصفر. قال لزوجته :

"ماري ! الوضع ميؤوس منه كما ترين ! وأنا أدرك ذلك بوضوح أكثر يوماً بعد يوم، ففي الوقت الذي أقف فيه من جديد على قدميّ بدأت تظهر أمامي عشرات الأسباب التي ستجعلني أقع في الخطأ من جديد...

عندما كنت سكيراً لم يكن هناك من يُطالبني بالمال، أما الآن وأنا أحاول أن أصبح رجلاً مستقيماً فقد بدأ كل من أدين له حتى بدولار واحد ينقضّ علي لكي يُطالبني بما أدين له من مال."

" قالت زوجته" هنري ، أنت تعلم بأن هذا دين وبذلك على المرء أن يُسدده."

" لست أنكر ذلك، لكن ليس بإمكاني أن أفعل ذلك في الوقت الحاضر."

" حسناً، هذا يعني أن بليك لن يتمكن من تحصيل دينه الآن وبأن عليه تأجيل الموضوع، وعلى كافة الأحوال لن تؤدي بعض المطالبة إلى موتنا، فقد مررنا بظروف أسوأ من ذلك واستطعنا احتمالها ، لذا ليس عليك ألا تفقد عزيمتك بهذه السهولة."

أجابها غوردون" هناك بعض المنطق بما تقولينه ماري، وأنا أعلم بأنني أفقد عزيمتي بسرعة وهذا أمر واضح تماماً ، لكنن من الواضح أيضاً أننا ندين للسيد بليك بهذا المبلغ وله الحق بمحاولة استرداد ماله .لكن ليس بإمكاننا أن نُسدّد المبلغ الآن وليفعل ما يريده، ولن نكون بوضع أسوأ لو أنه عمد إلى مطالبتنا بذلك يومياً ،. لكنني أكره أن تتم مطالبتي بالمال."

قالت السيدة غوردون" بإمكاني أن أشير عليك بالأسلوب الذي بإمكانك أن نتبعه لسداد الدين."

سألها زوجها " حسناً ما هو؟"

" لدى السيد بليك عائلة كبيرة ولابد أن زوجته تحتاج إلى من يخيط لهم ثيابهم وبإمكاني أن أفعل ذلك لقاء المال الذي تدين له به."

فكّر السيد غوردون للحظات ثم قال " أو ربما أن يكون من الأفضل أن يجعلني بليك أعمل في متجره لقاء الدين فلدي الكثير من وقت الفراغ ."

" أجابت السيدة غوردون " قد يكون هذا أفضل لأن لدي الكثير مما أقوم به من الأعمال الأخرى التي بإمكاني أن أحصل لقاء إنجازها على بعض المال "

راقت تلك الفكرة للسيد غوردون ورفعت من معنوياته وبذلك توجّه على الفور من تناوله عشائه إلى متجر السيد بليك. قال له:

" جئت كي أتحدث إليك حول ما علي سداده من دين."

قال بائع الخضروات " حسناً وما الذي لديك؟ "

" كنت أتمنى أن أسددّ لك ما علي بالمال لكن ليس بإمكاني ذلك لأنني خسرت مؤخراً عملي وليس لدي حالياً أي عمل ثابت، وكل ما بإمكاني الحصول عليه هو خمسة أو ستة دولارات في الأسبوع وهو مبلغ لايكاد يكفي لإعالتي. لكن لدي بعض أوقات الفراغ ، فإن لم يكن بإمكاني أن أسدد لك الدين بالمال بإمكاني أن أفعل ذلك بالعمل وسوف يسرني ذلك."

قال بائع الخضروات" لست أطلب أكثر من ذلك فليس من المنطقي أن أرفض ذلك . دعني أفكر بالأمر. أعتقد بأن بإمكاني أن أؤمن لك عملاً ليوم واحد في الأسبوع لكي أحسم دولاراً من الدين. هل يُناسبك ذلك؟"

قال غوردون " هذا يناسبني تماماً فلدي يوم فراغ ومن الأفضل لي أن أعمل لكي أسدد ديني من أن أبقى عاطلاً عن العمل."

" جيد جداً غوردون بإمكانك أن تبدأ من الغد. هذا الحلّ يُناسبني كما أنه يُثبت بأنك رجل مستقيم."

كانت كلمات بائع الخضار قد شجعت غوردون كثيراً ، وبذلك ذهب في اليوم التالي وفق ما تم الاتفاق عليه بينهما وبدأ يعمل لصالح السيد بليك، وعندما كان على وشك مغادرة المتجر مساءً استدعاه السيد بليك وقال:

" تعال غوردون انتظر قليلاً . أريدك أن تحمل من هنا هذا الكيلوغرام من السكر وهذا الكيلو غرام من الشاي."

فعل غوردون ما طُلب منه . لكن السيد بليك قال له بعد ذلك:

" خذها إلى زوجتك، وأبلغها تحياتي وأعلمها بأنني أتمنى لها السعادة مع هذا الزوج الشريف."

تناول غوردون تلك الهدية غير المتوقعة وهرع إلى البيت .

كان وراء ذلك قَدره الذي يُخفي له وجهاً مبتسماً.

عندما أعطى غوردون السكر والشاي لزوجته امتلأت عيناها بالدموع وكرّرت ما قاله بائع الخضار.

قال غوردون " نعم" هذه نعمة أرسلها الله إلينا ! كم نجهل أحياناً ما قد يَكمن وراء مستقبلنا من خير أو من شرّ!..."

وقالت زوجته " زوجي العزيز ! لا تقل بأنه قد يكون هناك بعض الشرّ في قدرنا، قد يبدو لنا ذلك من الشر، لكن لو فكر المرء بالخير فسوف يلقى الخير، فعندما يُخطط لنا الله تعالى مستقبلنا لابدّ أن يكون ذلك لما فيه الخير لنا، أما الشرور فهي تأتي من أفعالنا."

عندما أوى غوردون إلى فراشه تلك الليلة همس لنفسه الإيمان، الوقت والعزيمة... وبذلك قرر الذهاب في اليوم إلى دائن آخر ممن يدين لهم بالمال لكي يسأله فيما إذا يقبل بسداد الدين بذات الأسلوب الذي اتبعه مع بائع الخضار.

لكن ذلك الرجل قال له بعد أن تردد قليلاً:

" أنا أبيع بضاعتي لقاء المال وليس لقاء العمل."

قال غوردون " لكنني لا أمتلك المال حالياً ."

قال الرجل " سوف أنتظر وأرى ما سيحدث."

حدّث غوردون نفسه " يبدو أنه سينتظر إلى أن يصبح وضعي أفضل لكي يَنقضّ علي ويُطالبني بالدين المستحق."

وكان قد شعر من جديد بالتعاسة واليأس . وعندما عاد إلى منزله قال لزوجته :

" أنا أدين لذلك الرجل بمائة أو بمئتي دولار وليس هناك أي أمل بجمع هذا المبلغ لكي أسدد ما علي من دين له أولغيره من الدائنين . يبدو أن مُعاناتي سوف تستمر إلى أن أموت، هذا من أمر واضح.."

أجابته زوجته " لا تنظر إلى الجانب المظلم فقط، أعتقد بأنك ستفعل ذلك. أنت مدين لثمانية أو لعشرة أشخاص، كان أحدهم عندما طالبك بما عليك قد قَبل عرضك بالعمل لقاء سداد الدين، فإن كنت قد ذهبت اليوم إلى من لم يطالبك بالدين، وعرضت عليه ذات العرض ورفض ذلك فليس عليه سوى الانتظار. ليس هناك في الحقيقة ما يستوجب هذا اليأس . أنا على يقين بأنه لو كان يُفضل الانتظار فكل ما عليك أن تدعه ينتظر. لن يغير هذا شيئاً في الأمر. لو كان هذا الدائن قد رفض عملك لقاء سداد الدين فلم سيكون على الآخرين أن يرفضوا ذلك.

وكان غوردون بذلك قد شعر من جديد بالاطمئنان ثم ذهب في اليوم التالي إلى شخص ثالث كان يدين له بخمسة عشر دولاراً. كان ذلك الرجل يتعامل بتجارة التجزئة بالخضار كما كانت لديه حانة لبيع المشروبات وكان ثلث الدين لقاء المشروبات التي شربها لديه. قال غوردون: "سيد كينغ ، أود أن أسدد لك ما علي من دين "

قال السيد كينغ " هذا جيّد، ادخل ما الذي تريد أن تشربه؟

ثم توجه لكي يجلب له كأساً من الشراب ، لكن السيد غوردون أجابه :

" شكراً لك لن أتناول أي شراب."

" لِم ؟ وكيف حدث ذلك؟ هل أقسمت على ذلك؟"

" نعم، لقد انتسبت إلى المجتمع الصالح."

هزّ صاحب الحانة كتفيه وقال:

" لم أتوقع هذا منك غوردون. كنت أعتقد بأنك لايمكن أن تقلع عن الشراب وعن شعور الراحة التي يلقاه المرء بذلك."

قال غوردون " كنت بذلك قد دمرت نفسي وشردت عائلتي. أهذا ما تقصده بشعور الراحة؟. يعلم الله أن هذا أسوأ ما يحدث للمرء، لكنني جئت الآن لكي أتحدث إليك عن سداد الدين بما أنني توقفت الآن عن الشراب ولأنني أريد أن أصبح رجلاً شريفاً بقدر ما بإمكاني ذلك."

" هذا جيد يعجبني الرجل الذي يسعى لأن يصبح محترماً . هل تمتلك المال؟"

" لا، كان بودي ذلك ليس لدي المال وإنما لدي الوقت وبإمكاني أن أعمل لقاء ذلك سيد كينغ."

"الوقت؟ هذا ما يُطلق عليه البعض تعبير الوقت من المال، أتعتقد بأنك قد تُسدد لي الدين بالوقت؟ لكن الوقت ليس مثل المال يا صديقي . هناك الكثيرون مما يأتون إلي لكي يضيعوا الوقت بالمال لذا بإمكاني أن أحصل على أكثر مما أريده."

" سيد كينغ، لست أرغب بإضاعة الوقت ولا بعدم سداد ما علي . ما أريده هو أن أقدم إليك خدمة لقاء المال، أو بتعبير آخر لو كان بإمكانك أن تُكلفني بما أقوم به فلدي وقت فراغ وأود استخدامه بالقيام بأمر مفيد."

قال السيد كينغ" نعم، بدأت أفهمك الآن غوردون. أعتقد بأن بإمكاني أن ألبي طلبك. تمّ سَجن المسؤول عن الحانة أمس لارتكابه مخالفة وأنا بحاجة إلى من يحلّ محله إلى أن يعود. بإمكانك القيام بهذا العمل لبضعة أسابيع وسوف أخصم المبلغ من الدين الذي عليك."

نظر إليه غوردون وقد بدا جدّياً.

سأله السيد كينغ" ما الأمر ؟ ألن تفعل ذلك؟"

" لا سيدي ليس بإمكاني ذلك."

" لماذا؟"

" لأنني أقسمت بألا أتذوق الشراب أو أن ألمسه أو أن أقوم بأي شيء يتعلق بذلك. لا ، لا، سيد كينغ ليس بإمكاني أن أفعل ذلك،. لكن بإمكاني أن أبيع الخضار لمدة أربعة أيام في الأسبوع ولمدة أربعة أسابيع، لأن لدي التزامات أخرى باقي الوقت."

اصطبغ وجه صاحب الحانة بالحمرة لدى سماعه كلمات ذلك الرجل الذي سار في طريق الصلاح، واعتبر ما قاله بمثابة الإهانة له وقال :

" اذهب إلى أعمالك، وسوف أجد طريقة أخرى لتحصيل ديني."

وكان غوردون بذلك قد تعلّم بأن عليه ألا يقلق وألا يخاف من أي شيء . وبما أن زوجته كانت كثيراً ما نبهته بأن من الخطأ أن يفعل ذلك، وبذلك شعر بالحرج من يعود إليها بمزاج سيء، وعمل على أن يرفع من معنوياته قبل العودة إلى المنزل.

وكان السيد غوردون بعد ذلك قد نجح في مساعيه في أماكن أخرى، فلم يكن لجميع من عاد إليهم ذات طريقة التفكير، وبذلك كان خلال ستة أشهر قد استطاع سداد مائة دولار مما عليه من ديون، كما كان قد حصل على عمل ثابت يعود عليه بستة دولارات في الأسبوع، ما عدا ما كان يحصل عليه كل أسبوع من هنا وهناك لقاء بعض الأعمال الثانوية الأخرى... كما كانت زوجته تقوم ببعض أعمال الحياكة وتحصل لقاء ذلك على دولارين أو على ثلاثة دولارات في الأسبوع ...

لكن شعور عدم الاستقرار كان لايزال يُعكّر صفو في حياتهم وكان ذلك أمر لابدّ منه."

لكن غوردون كان بعد فترة اثنا عشر شهراً قد سددّ جميع ديونه كما حصل على عمل براتب خمسمائة دولار في العام.

وكان كلما تجول في منزله المريح يهمس لنفسه :

" الإيمان، الوقت والعزيمة" وكان يُفكر بما مرّ به من أحداث خلال العام الماضي ويقول:

" لم يكن بإمكاني تصديق ذلك فلم يمر بعد سوى اثنا عشر شهراً وها قد أصبحت رجلاً مستقيماً واستطعت سداد جميع ديوني."

بعد مرور عام ، كان أحد أصدقاء غوردون القدامى ممن عاصروا ما مرّ به من مشاكل قد مرّ بمبنى عليه لوحة كتبت عليها عبارة " مؤسسة إبفنلي وغوردون" وعندما شاهد غوردون على باب المتجر سأله بدهشة:

" هل أنت من يمتلك هذه المؤسسة؟"

أجابه غوردون" نعم"

" وهل حصلت على المال بهذه السرعة ؟"

" نعم ، الأمور تسير جيداً معنا والحمد لله ."

" غوردون ، لست أفهم كل ذلك . كنت قد حاولت مثلك أن أصلح نفسي لكنني فقدت عزيمتي وتراجعت ، لكنك تمكنت من أن تحقق ذلك فما هو سرّ نجاحك ؟"

قال غوردون " يَكمن الأمر في ثلاث كلمات."

" وما هي؟"

"إنها الإيمان، الوقت والعزيمة!.."

ليس نبيلاً لكنه سعيد

Not great but happy

للكاتب ت.ش. آرثر

كم يَكمُن في محبة القلوب الشابة من رقّة ونقاء ولطف!...

وكم يَكمن فيها من سُموّ ورفعة !...

فليس هناك ما يُمكن أن يُشوّه جمال تلك العواطف...

من منا لا يتذكّر مقدار ما فيها من حنان وتعاطف ومن تفان وإيثار حتى عندما يُصبح المرء في خريف العمر وعندما تبدأ أوراق الخريف الذابلة بالتساقط تحت قدميه ؟.كم ما في عاطفة تلك القلوب من عدم مبالاة لا بحسابات ولا باعتراضات ولا بعقلية العالم !.. فهي تسمعها كما قد يسمع المرء تمتمة عابرة دون أن يُعيرها أي اهتمام...

كم من قدسية تكمن في الثقة المطلقة لمحبة الشباب، حين تستجيب القلوب للقلوب دون الحاجة للتفكير بالتكافؤ بحيث يبدو العالم مشرقاً جميلاً، وبحيث يُصبح الجو عَبقاً بروائح الربيع العَطرة.

وما هو ذلك الحلم الذي ينقلها إليه ؟ ولكن لِم علينا أن نعتبره حلماً ؟ بل إنه الحقيقة المجيدة المباركة.

أليس الحب الغِرّ النقيّ هو الحب الحقيقي؟..

ولكن و يا للأسف!... فهذا العالم عالم شرير ، كما أن قلب الإنسان قلب تملأه الشرور.، لذا فقد تكون هناك في كثير من الأحيان، صَحوة من ذلك الحلم بالكثير من الدموع وبالكثير من الجراح.، وبالكثير الكثير جداً من المُعاناة التي قد تُمزق القلوب الفتية إرباً.، كما أن تلك الجراح كثيراً ما تكون غير قابلة الشفاء !.. أو كثيراً ما يكون الشفاء قد ترك فيها نَدبة تُشوّهها...

لكن الحب العفيف النقيّ قد يجد أحياناً مع ذلك مكافأته، وسوف أروي لكم مثالاً صادقاً على ذلك.

كان البارون هولبين، بعد أن أمضى عشر سنوات في إحدى العواصم الأوروبية،قد عاد إلى ممتلكاته التي تقع في سهل خصب جميل جداً ، بعيداً عن الوسط البهيج للعصر ، بعيداً عن الضغائن السياسية التي اعتاد عليها لمدة طويلة.، وبعيداً عن نزاعات الرجال الأنانيين وعن تنافس المصالح...

كانت لديه ابنة وحيدة في الخامسة عشر من عمرها تُدعى نينا .، وكان ابتعاد البارون عن العالم لأجلها، ولكي يستمتع أيضاً بهدوء الطبيعة في تلك المنطقة المُنعزلة...

ذلك لأن والدة نينا كانت قد توفيت منذ أعوام وكان الوالد يخشى على ابنته من التعرّض إلى إغراءات تلك المدينة الكبيرة، وبشكل خاص لأنها تفتقد إلى رعاية وإشراف الأم.

لكن نينا في ذلك المكان المُنعزل كانت قد افتقدت صديقاتها الشابات الناشئات، وكانت تتوق وتحن إلى أن تكون بينهن. كان القصر الكبير منعزلاً تماماً كما أنها لم تكن تهتم بالاختلاط بالقرويين رغم أن والدها كان يحثّها باستمرار على ذلك...

ولكي ذات يوم لكي يشجعها على ذلك، قد وضع تحت تصرفها مبلغاً ضخماً من المال وطلب منها أن تستخدمه بما تراه الأفضل من أعمال الخير.

كانت نينا بفطرتها طيبة القلب وكانت دوافعها تجاه الآخرين نبيلة، لذا راقت لها تلك الفكرة ووجدت فيها ما يشغل وقتها، وبدأت على الفور تُفكر بكيفية استخدام تستخدم المال الذي وضعه والدها تحت تصرفها في أعمال الخير.

كانت هناك بين القرويين امرأة تدعى بلانش وهي أرملة لها ابن وحيد غادر القرية منذ عشرة أعوام ، برفقة عمه كان قد عرض على والدته أن يتولى رعايته وأن يُشرف على تعليمه لكي يؤهله لحياة أرفع من حياة مجرد قروي عادي...

كان هناك تعبير رقيق في وجه تلك المرأة وشيء يشير إلى أنها من طبقة اجتماعية أرفع من مجرد امرأة قروية ، رغم أنها لم تكن سوى قروية متواضعة تعتمد في كسب عيشها على عملها، كما أنها لم تكن تتطلع إلى منزلة أرفع مما هي فيه وكانت نينا بعد وقت قصير من إقامتها في القصر قد تعرفت على السيدة بلانش.

عندما أعلمت نينا السيدة بلانش برغبة والدها وبالأموال التي وضعها تحت تصرفها لاستخدامها في أعمال الخير ، تناولت بلانش يدها بين يديها وقالت لها وقد أشرقت ملامحها:

" أصغ إلي يا طفلتي، لاشكّ بأن الأفضل ومن الأكثر ثواباً أن يعطي المرء للآخرين من أن يأخذ منهم. السعداء هم من لديهم القدرة على العطاء بكل طيب خاطر، لكنني مع ذلك أخشى أن تجدي بعض الصعوبة في مهمتك هذه. ذلك لأن هناك في كل مكان من هم من العاطلين عن العمل ومن العديمي الفائدة، كما أن هناك من لديهم القدرة على التظاهر بأنهم يستحقون الإحسان أكثر ممن هم في حاجة فعلية إلى الإحسان، ولكن وبما أنني أعرف كل شخص في هذه القرية فقد يكون بإمكاني أن أرشدك إلى من يستحقون الإحسان والرعاية .

أجابت نينا " شكراً لك أيتها الأم الطيبة . سوف أعتمد على حكمك على الأمور وسأعتبرك المسؤولة عن توزيع ما سأمنحه من صدقات ."

قالت بلانش " لا سيدتي، من الأفضل أن تقومي بتوزيعها بنفسك. وسوف أقوم فقط بمساعدتك وبإرشادك لكي يكون توزيعك للمال بحكمة."

قالت نينا" أنا على استعداد للبدء فوراً بذلك وأرجو أن تقومي بإرشادي فقط إلى الطريقة."

ثم قالت بلانش" هل ترين هناك ذلك العدد الكبير من الأطفال الذين يلعبون فوق العشب؟

" نعم ،تبدو جماعة من الأطفال الطائشين المُهمَلين ."

"هم بالفعل كذلك ، فهم يجتمعون هنا يومياً لساعات ويُمضون الوقت بممارسة هذه الرياضة . قد يختلفون أحياناً وقد يتشاجرون في أحيان أخرى، وهذا هو أسوأ ما في البطالة. والآن تعالي معي، انظري هناك هل تشاهدين إلى جانب الهضبة ذلك الكوخ الصغير الذي تُحيط به شُجيرات الكرمة.

" نعم"

" تُقيم هناك سيدة عجوز مع ابنتها ، يؤمن لهما عمل الابنة القوت والكساء. ولكن بما أن أولائك الأولاد بحاجة إلى التعليم، وبما أن جانيت مؤهلة تماماً للقيام بذلك، ونظراً لعدم وجود أية إمكانية لدى أهاليهم لإرسالهم إلى المدرسة ، تقوم جانيت حالياً بإعطائهم بعض الدروس بعد عودتها من العمل مهما كانت متعبة."

قالت نينا بحماس " بدأت الآن أفهم الأمور تماماً . هذا يعني بأن من الضروري أن تكون هناك مدرّسة في هذه القرية، وبأن جانيت بإمكانها أن تصبح مدرسة فيها."

قالت بلانش " لو تم تنفيذ ذلك فسوف يكون أفضل عمل صالح تقومين به."

قالت نينا " سوف يتم تنفيذ ذلك بالتأكيد . دعينا نذهب على الفور إلى ذلك الكوخ الصغير اللطيف لكي نتحدث إلى جانيت."

كانت نينا بعد وقت قصير قد دخلت برفقة بلانش إلى ذلك الكوخ . كان كل ما فيه نظيفاً أنيقاً وبسيطاً. كانت جانيت منهمكة بالعمل عندما دخلتا ، وعندما شاهدت سيدة قصر هولبين نهضت بسرعة ببعض الارتباك، لكنها سيطرت بسرعة على ارتباكها ورحبت بالزائرتين بأسلوب مهذب، وعبّرت عن غبطتها بما منحتهما لها من شرف زيارة كوخها المتواضع.

وعندما قامت نينا بعرض الهدف من الزيارة عليها، أجابت بأنها كانت تأسف دوماً لوضع أطفال القرية و تأمل بأن تتاح لهم فرصة الحصول على التعليم، وكانت قد قبلت على الفور عرض نينا بأن تصبح مدرسة وبأنها لا ترغب بالحصول لقاء تلك الخدمة على أكثر ما تحصل عليه حالياً من عملها في غزل الحرير.

لم يأخذ ذلك الأمر الكثير من الوقت، وتم افتتاح تلك المدرسة، وكان الأهالي قد أرسلوا أولادهم إليها بكل سرور مادامت البارونة على استعداد لتحمل كافة النفقات.

لكن نينا لم تُعلم والدها بما فعلته لأنها كانت ترغب بأن تُفاجئه بذلك ذات يوم وبعد أن يكون كل شيء قد تم وبدأ يُعطي نتائجه. لكن مثل ذلك الأمر المثير جداً لاهتمام القاطنين في المنطقة لم يكن ليبقى سراً لمدة طويلة. فلم يكن قد مر يومان على بدء الدراسة في تلك المدرسة إلا وكان البارون قد اخذ علماً بذلك. لكنه أيضاً لم يفتح الموضوع مع ابنته. كان يعلم جيداً بما ستشعر به من بهجة عندما ستعلمه بنفسها، لذا ترك الأمر لها وتظاهر بعدم معرفته بما تم..

كانت نينا في نهاية الشهر قد قدمت لوالدها تقريراً بما فعلته بالمال الذي وضعه تحت تصرفها. كانت النفقات معتدلة لكن أهمية وقيمة العمل الصالح أكثر بكثير مما توقعه البارون، فقد تم قبول ثلاثين طفلاً في تلك المدرسة كما تم تعيين المربيات والممرضات والأطباء لتقديم ما قد يلزم من رعاية طبية للأطفال في حال

تعرضهم للإصابة بالأمراض، كما تم تكليف الأشخاص الفقراء الذين لم يكن لديهم أي عمل بحياكة الملابس لأطفال المدرسة. كما تم القيام بالعديد من الأعمال الأخرى. كان البارون عندما يطلع على حسابات كل بند من بنود الإنفاق يشعر بالكثير من السرور. كان يشجع نينا على ما تقوم به ويُشيد بالحكمة التي أبدتها في إدارة الأمور التي تولتها ويطلب منها المثابرة على القيام بذلك العمل الصالح.

وكانت نينا لأكثر من عام تعرض على والدها شهرياً كشفاً دقيقاً بحساب النفقات وتطلب موافقته عليها، لكنها كانت بعد ذلك قد توقفت عن تقديم ذلك كشف الحساب الشهري إليه ، رغم أنها كانت تتلقى منه المبلغ المخصص لها عادة وكانت تنفقه في الكثير من أعمال البرّ والإحسان على القرويين الفقراء.

كان البارون قد عجب كثيراً من ذلك لكنه لم يستفسر منها عن السبب ولم يسألها يوماً أن تقدم إليه كشفاً بالمصروفات وهو ما كانت تقدمه إليه بمحض إرادتها .

لم يكن بإمكانه أن يسألها عن سبب توقفها عن ذلك، لكنه كان مع ذلك قد لاحظ بعض التغيير في ابنته . كانت نينا مستغرقة دوماً في تفكيرها ولم تعد تتحدث إليه بذات الصراحة والانفتاح ،. وكانت تبقى في غرفتها بمفردها لفترات أطول مما كانت تفعل ذلك عندما انتقلا للعيش في القصر. كانت نينا تخرج يومياً لكي تتوجه إلى كوخ بلانش دوليبار وتُمضي هناك ساعات طويلة. كما لم تعد تصل إلى مسامعه بذات الوتيرة أنباء أعمال البرّ التي تقوم بها ابنته ، في الوقت الذي كانت فيه نينا تسحب من الحساب ذات المبالغ التي كانت تسحبها في السابق ، كما أنها طلبت منه مرتين مضاعفة المبلغ المُخصص . لم يكن بإمكان الوالد أن يفهم معنى أو السبب وراء كل ذلك ،. ولم يكن بإمكانه أن يُصدق ما كان يخطر بباله أحياناً من أن يكون هناك وراء الأمر ما هو سيء. كان يثق بابنته ثقة مطلقة، لكنه كان بذات الوقت شعر بالحيرة. وسوف أبين للقارئ الآن السبب في ذلك التغيير الذي طرأ على نينا :

بينما كانت نينا بعد مرور حوالي العام على زياراتها المستمرة للسيدة بلانش دوليبار ، قد جلست ذات يوم بمفردها في كوخ ربيبتها تطالع أحد الكتب بينما ذهبت بناء على طلبها بلانش لزيارة إحدى المريضات في الجوار . دخل أحدهم فجأة من الباب على عجل. رفعت نينا نظرها والتقت نظرتها بنظرة ذلك الفتى الغريب الذي وقف ينظر إليها بارتباك وبإعجاب ودهشة، ثم سألها بأكثر من الارتباك وبصوت موسيقي خافت :

" أليس هذا هو كوخ السيدة بلانش دوليبار؟"

أجابت نينا " نعم هذا هو كوخها لكنها ذهبت لزيارة سيدة مريضة في الجوار وسوف تعود بعد قليل."

سألها الشاب" وهل أمي بصحّة جيدة؟"

نهضت نينا على الفور. أهذا هو إذن بيير دوليبار الذي كانت السيدة بلانش تُحدثها عنه دوماً؟ وكان قلب تلك الصبية منذ تلك اللحظة قد بدأ يخفق بشدة.

أجابته بكل بساطة " السيدة بلانش بخير . سوف أذهب لكي أعلمها بأن ولدها عاد إلى المنزل، لكي أجعله تشعر بالسعادة."

قال بيير " لا ، سيدتي ! لا داعٍ لأن تقلقي والدتي أثناء تأديتها لذلك العمل الصالح. دعيها تعود إلى المنزل وتقابلني هنا وسوف تجعلها المفاجأة تشعر بسعادة أكثر." اجلسي أيتها البارونة أو أيتها الدقة ، أعتذر لسوء تصرفي ، ألست السيدة الشابة التي تقيم في ذلك القصر، والتي كانت والدتي تحدثني عنها دوماً في رسائلها وتقول بأنها ملاك هذه القرية؟ أنا متأكد بأنك هي وإلا لما كانت والدتي ستتركك بمفردك في كوخها."

اصطبغ وجه نينا بحمرة قانية وأجابت ببساطة بأنها بالفعل السيدة التي تقيم في القصر،

مرّت ساعة كاملة قبل أن تكون بلانش قد عادت، ولم يكن الشابان خلال تلك الساعة قد عبّرا بشفتيهما وإنما بنظراتهما التي كانت تنطق بما شعرا به من إعجاب متبادل، وكانا في حالة من الاستغراق مما جعلهما لا يسمعان وقع أقدامها وهي تقترب من الكوخ.

كانت الأم في غاية السعادة بلقاء ولدها كان قد تغير كثيراً عما كان عليه قبل مغادرته القرية، كان قد أصبح أطول قامة وكانت تبدو عليه علامات النبالة أكثر من شكل فتى قروي. مكثت نينا لبعض الوقت ثم غادرت بسرعة إلى القصر.

وهكذا كان ذلك اللقاء القصير بين الشابة نينا والشاب بيير قد قرر لتلك الشابة النبيلة مصيرها. فلم تكن قد عرفت شيئاً قبل ذلك عن مشاعر المحبة . كان قلبها الطاهر قلب طفلة بريئة . وكانت هي ذاتها فتاة غِرّة . كما أنها كانت بما سمعته من بلانش عندما كانت تتحدث قد كوّنت عنه فكرة مسبقة بأن بيير ابن السيدة بلانش لابدّ أن يكون أفضل وأطيب الشبان، وبذلك كانت عندما شاهدته للمرة الأولى قد وجدت بأنه الشخص الذي لابد أن يعجب به المرء. كان كل ما فيه وجهه، أسلوب حديثه، دماثته وذكاؤه يدعو إلى كسب مشاعرها الغِرّة النقية. لكن نينا لم تكن قد أدركت في البداية طبيعة ما تشعر به من الأحاسيس تجاه ذلك الشاب فلم تكن قد فكرت قطّ بالحب لذا استمرت في زياراتها لكوخ بلانش دوليبار .و كما أنها لم تكن تتحفّظ في حديثها مع بيير. إلى أن قرر ذلك الشاب المُتيم أن يكشف لها عما أيقظه في قلبه وجودها وهو الأمر الذي جعلها تدرك سبب البهجة التي كانت تشعر بها هي أيضاً بوجودها معه.

وكان بيير بعد مرور عدة أسابيع على وجوده في القرية قد غامر بإعلام والدته عن سبب عودته غير المتوقعة. كان قد اختلف مع عمه الذي كان في حالة غضب قد ذكّره باعتماده عليه مادياً ، مما جعل ذلك الشاب المعتد بنفسه يشعر بالإهانة ويغادر منزل عمه خلال أربع وعشرين ساعة ويقرّر ألا يعود إليه بعد ذلك. كما أعلم والدته بأنه عاد إلى القرية عازماً على العيش حياة القرويين بأن يعمل في زراعة الأرض وبأن هذا بالنسبة إليه أفضل من العيش مع قريب سوف يذكره دوماً بما يقدم إليه من عون...

حزنت السيدة بلانش البائسة جداً لذلك ووجدت بأن كل ما كانت قد بنته من آمال لمستقبل مختلف أفضل لولدها قد ضاع . نظرت إلى يديه الصغيرتين الناعمتين وبكت عندما خطر ببالها بأن عليه أن يعيش حياة القرويين الشاقة وأن يكون عليه أن يعمل بتلك اليدين في فلاحة وزراعة الأرض.

ولم يكن قد مرّ وقت طويل قبل أن تكون نينا قد قدمت للسيدة بلانش عرضاً جعلها تشعر بالراحة بعض الشيء من ذلك الأسى المرير الذي كانت فيه. كان ذلك العرض وهو التالي :

بما أن بيير قد أظهر منذ طفولته موهبة في إتقان الرسم ، وهي الموهبة التي كان عمه قد نماها لديه مما جعله فناناً محترماً، وبما أن ما يحتاج إليه الآن ليس سوى أن يتتلمذ لمدة عام على الأقل على يد أحد كبار الفانين لكي يُحصّل المزيد من المعرفة والإتقان لتلك المهنة التي ستجعله يحصل على مكانة اجتماعية، فقد أبدت نينا استعدادها لدعمه مادياً لكي يتمكن من الذهاب إلى فلورنسه في إيطاليا ويستكمل تدريبه هناك وبأنها سوف تتحمل جميع النفقات...

كان الشاب بما لديه من كبرياء قد رفض تماماً قبول ذلك العرض الكريم، لكن نينا ووالدته استطاعتا التغلب على جميع اعتراضاته كما أجبرتاه تقريباً على قبول العرض.

وبهذا بإمكانكم أن تتبيّنوا لِم توقفت نينا عن تقديم كشف حسابات مصروفاتها لصالح الفقراء لوالدها.

لم تكن قد خالجت البارون أية شكوك حول الوضع الحقيقي للأمور إلا بعد مرور عام ، عندما قدم إليه ذات يوم شاب جميل الطلعة و طلب منه يد ابنته بكل جرأة. صُعق البارون العجوز. وقال له:

" من أنت لكي تتجرأ على مثل هذا الطلب؟"

أجاب بيير وهو ينحني أمامه ويطرق بنظره نحو الأرض:

" أنا ابن أحد القرويين، وقد تعتبر أن من الجرأة أن أطلب يد ابنتك النبيلة. لكن محبة القروي قد تكون صادقة نقيّة مثلها محبة أي أمير، كما أن قلب القروي قد يخفق بقدر أكبر من الإحساس ومن العاطفة الصادقة."

أجاب البارون بغضب " أنت تستحق العقاب أيها الشاب على هذه الثقة بالنفس. لكن اذهب وإياك أن تتجرأ على أن تخطو عتبة هذا القصر بعد الآن!... أنت تطلب المستحيل فعندما ستتزوج ابنتي لن تفكر بالتنازل إلى مستوى قروي وقح مثلك. اذهب من هنا على الفور أيها الشاب!."

انسحب بيير وقد أصيب بالارتباك. كان قد ضعف إلى الحد الذي جعله يأمل بأن ينظر البارون هولبن على الأقل بطلبه وبأن يمنحه الفرصة لكي يثبت له بأنه جدير بالزواج من ابنته، لكن ذلك الرفض القاطع كان قد خيب كل أمل لديه.

كان البارون الأب على الفور من مغادرة الشاب قد أرسل أحد الخدم باستدعاء ابنته نينا. لم تكن نينا في غرفتها كما لم تكن أيضاً في المنزل، وكانت قد عادت بعد حوالي الساعتين وعندما مثلت أمام والدها لاحظت من ملامح وجهه بأنه هناك ما يُضايقه منها.

سألها البارون على نحو فظ مفاجئ:

" من كان ذلك الشاب الذي جاء إلى هنا قبل ساعتين؟"

نظرت إليه نينا بخوف لكنها لم تجبه.

قال الوالد" هل كنت تعلمين بأنه سوف يأتي لمقابلتي؟"

أخفضت الشابة نظرها وظلت شفتاها مغلقتين بإحكام.

" أن يتجرأ قروي من أصل وضيع ! بطلب يدك مني!.."

أجابت نينا فجأة " أووه أبي! ليس ذلك الشاب وضيعاً ! كما أنه له قلب نبيل!"

" لقد اعترف لي بأنه ابن قروي ! من هو؟"

" انه ابن السيدة بلانش دوليبار، وقد عاد مؤخراً من فلورنسه وهو فنان ذو جدارة. وليس فيه ما هو وضيع فيه أبي!.."

" ابن قروي وفنان يتجرأ على التقرّب مني وطلب يد ابنتي! والأسوأ من ذلك بأن تنسى ابنتي أصلها النبيل ومكانتها وتؤيد هذا العرض! هذا جنون! هل هي صديقتك الطيبة بلانش! المرأة التي كانت ترشدك في جميع ما تقومين به من أعمال البرّ! سوف تتم معاقبتها على هذه الخيانة الوضيعة للثقة التي أوليتها بها."

ركعت نينا على ركبتيها أمام والدها وكانت وهي تزرف الدموع قد تضرعت بحرارة وتوسلت إلى والدها أن يعفو عن والدة بيير. لكن العجوز كان يستشيط غضباً وكان بعد أن أطلق العديد من اللعنات على بلانش وعلى ولدها الوقح قد منع نينا من مغادرة القصر لأي سبب كان تحت طائلة تعرضها لعقوبة عدم عودتها بعد ذلك إلى قصر والدها...

لكن نينا على الرغم من ذلك التهديد الذي لم يسبق أن وجهه إليها والدها كانت لاتزال تشعر ببعض الأمل بأن يطرأ تغيير على موقفه، وبأن يكون بإمكانها أن تلتقي بيير سراً ولو لفترة قصيرة، ولكن بألا يكون بإمكانها أن تغادر القصر لأي سبب وألا يكون بإمكانها أن تجتمع بيير من جديد ، فذلك يعني أن تُسرق منها أية متعة في الحياة...

كانت قد أحبته منذ أكثر من عام وكان تعلقها به يزداد حرارة ورقّة يوماً بعد يوم، فهل يمكن أن يضيع كل ذلك خلال لحظة بمجرد أمر صدر عن والدها؟ لا ! يجب أن يستمر ذلك الحب كما كان.

كان البارون هولبن متعلقاً جداً بابنته التي يعتبرها نقطة الضوء ومصدر الأمل في حياته، وكان على استعداد لأن يُضحي بكل شيء لأجل سعادتها. لكن سنوات الحياة التي عاشها في هذا العالم كانت قد جعلته بدرك بوضوح بما لديه من غرور ومن قسوة قيمة ما يمتلكه من ثروة ومن أصل نبيل ومن منزلة رفيعة ومن ألقاب.

لم يكن يُثمّن كل ذلك كثيراً إلا عندما اقترب منه ذلك القروي الشاب وطلب يد ابنته. وبذلك كان غرور ذلك البارون العجوز المختفي تحت الرماد قد توهج فجأة من جديد. لم يكن بإمكانه أن يجد الكلمات للتعبير عن استيائه، واستغرق عدة أيام لكي يتمكن من تهدئة حدّة ذلك الاستياء. ليس لأن رأيه تجاه ذلك القروي كان قد تغيّر، لكن ثورة غضبه تجاه ابنته كانت قد بدأت تهدأ ...

لم يكن من المؤكد أن الأمور سوف تكون أفضل بالنسبة للشابين مع مرور الوقت ولم يكن بإمكانهما أن ينتظرا مرور الوقت . كانت نينا نتيجة ذلك الموقف العنيف وذلك القرار الذي اتخذه والدها قد فقدت الأمل بأن يحدث أي تغيير في موقفه وهذا ما جعلها في غمرة حماس الشباب قد تنتهز أول فرصة للخروج من القصر لمقابلة بيير على الرغم من أوامره الصارمة وتعرض عليه الهرب معه.

قال الشاب بحماس وكبرياء:

" أنا أتقن مهنة الفنون بإمكاننا أن نذهب إلى فلورنسه فلدي الكثير من الأصدقاء هناك."

وبذلك لم يكن ذلك الشاب بحاجة لبذل الكثير من الجهد لإقناع تلك الفتاة العديمة الخبرة الحسنة الظن بالموافقة على رغبته. وكان البارون بعد أقل من شهر قد خسر ابنته التي تركت له رسالة شرحت بها كل شيء من أنها سوف تتزوج زوجت ذلك القروي الشاب وسوف تغادر البلدة معه إلى فلورنسه ...

كانت الرسالة تتضمن الفقرة التالية الموقعة من كل من نينا وبيير معاً:

" سوف نكون في غاية السعادة بالعودة لو سامحنا والدنا وسمح لنا بالعودة ولكن ليس قبل ذلك."

استاء البارون العجوز قد استاء جداً من تلك الفقرة الأخيرة رغم أنه لم يكن فيها أية وقاحة . مزق الرسالة وسحقها بقدمه بغيظ ، ثم أقسم بألا يسامح ابنته إلى الأبد..!

كانت الأشهر التالية أتعس أيام حياة البارون العجوز. وعلى الرغم من أن ثورة غضبه الأولى تجاهها كانت لاتزال كما هي، وعلى الرغم من أن تصرفها كان قد ترك أثراً بالغاً في نفسه ،. لكنه لم يتمكن مع ذلك من التغلب على عاطفته نحوها . كان يتذكر وجهها اللطيف ونظرتها الرقيقة إليه. وكان مع مرور الأشهر يصبح أكثر فأكثر اضطراباً وتعاسة. كان يشعر بفراغ مؤلم في نفسه. وكان ليلة بعد ليلة يحلم بابنته،، وكان عندما ينهض صباحاً يُخيل إليه بأن الحلم كان حقيقة. لكن غروره وكبرياءه كانا أقوى منه ولم يكن بإمكانه أن يستوعب عصيانها له...

مرّ أكثر من عام ولم تكن قد وصله خلاله أية كلمة من ابنته التي كان يزداد شوقاً إليها يوماً بعد يوم . كان مرّة أو مرتين قد قرأ اسم بيير دوبيير في الصحف كفنان شاب يقيم في فلورنسه يُتنبأ له الجميع بمستقبل باهر،، وكان يشعر بالسرور بتلك الأنباء أكثر مما كان يسمح بالاعتراف به لنفسه.

وبينما كان جالساً ذات يوم في المكتبة وهو يحاول التخلص من الصور والذكريات التي كانت تنتابه باستمرار ، دخل اثنان من الخدم يحملان صندوقاً كبيراً كُتب عليه :

"لأجل البارون هولبن" وعندما تم البارون فتح الصندوق وجد فيه لوحة كبيرة مغلّفة بقماش. قام الخدم بإزالة الغلاف ووضعا اللوحة إلى جانب الجدار وانصرفا. وبدأ البارون بيدين مرتجفتين وقلب يخفق بشدة بإزالة الغلاف وعندما نظر إلى اللوحة وجد أمامه تجمعاً لعائلة من عدة أفراد. كانت اللوحة تُمثّل ابنته نينا وهي جالسة وبين ذراعيها طفل جميل... نعم كانت تلك ابنته الحبيبة وطفلها ... كانت في غاية الجمال وكانت اللوحة في غاية الإتقان بحيث تبدو فيها ابنته وكأن الدماء تجري في عروقها.. كانت عيناها تنظران بحب إلى الطفل النائم بين ذراعيها ، يجلس إلى جانبها بيير وهو ينظر إلى وجهها ببهجة...

لم يكد البارون العجوز ينظر إلى تلك اللوحة إلا وكانت الدموع قد بدأت تسيل بغزارة من عينيه. كانت عاصفة الغضب الهوجاء قد خمدت وحلّ محلها شعور هادى لطيف جعل ذلك الأب يشعر بعاطفة لايمكن التعبير عنها . نظر لمدة طويلة إلى وجه ابنته اللطيف والى الطفل الحديث الولادة بين ذراعيها الذي كان تعبيراً يُمثّل البراءة . ثم قرأ ما كُتب في أسفل الصورة وهي العبارة التالية:

" ليس نبيلاً لكنه سعيد."

كان البارون بعد أسبوع من استلامه لتلك الصورة قد دخل فلورنسه . ولدى سؤاله عن السيد بيير دوليبار تبيّن له أن الجميع يعرفون ذلك الفنان الشاب.

قال له أحدهم " تعال معي دعني أصطحبك إلى المعرض لكي تشاهد اللوحة التي حصل بها على الجائزة. إنها تحفة فنية رائعة. كل مدينة فلورانس تتحدث عنه وتمتدحه."

ذهب البارون إلى المعرض. وكانت أول لوحة وقعت عليها عيناه لدى دخوله، صورة طبقة الأصل عن اللوحة التي تلقاها ولكن بحجم أكبر وكانت بالأضواء المسلطة عليها تبدو أكثر حيوية.

قال الشخص المرافق للبارون:

" أليست لوحة في غاية الروعة.؟"

تمتم البارون العجوز بصوت خافت مرتعش:

" ابنتي، ابنتي الغالية الرقيقة!"

ثم استدار وقال لذلك الرجل فجأة:

" هل بإمكانك أن ترشدني إلى مكان إقامة السيد بيير دوليبار؟"

أجاب الرجل " بكل سرور. فهو يقطن في مكان قريب من هنا."

وكانا بعد مسيرة دقائق قد أصبحا أمام منزل الفنان.

أشار الرجل إلى المنزل وقال:

" ربما كان هذا البيت متواضعاً لكن من يقيم فيه رجل نبيل."

بعد أن غادر الرجل دخل البارون من الباب المفتوح بمفرده إلى المنزل دون أن ينتظر السماح له بالدخول. كان كل شيء هادئاً . دخل من خلال ردهة أنيقة نظيفة تنتشر فيها أزهار نادرة ولوحات تُزين جميع على الجدران. ثم دخل منها إلى تلك الشقة الصغيرة ومنها إلى غرفة داخلية صغيرة كان بابها مواربا ونظر من خلاله. أكانت تلك لوحة أخرى؟ لا ، كانت الحقيقة كانت تلك ابنته وكان طفلها بين ذراعيها كما شاهده تماماً في تلك اللوحة وكان بيير جالساً إلى جانبها وهو ينظر بحنان إلى وجهها...

لم يعد بإمكان البارون أن يسيطر على نفسه وبذلك فتح الباب ودخل بسرعة وأحاط الثلاثة بذراعيه وهو يقول بصوت مُنكسر "ليباركككما الله يا أولادي الأحباء."

جفّت الدموع قد جفت. وأشرقت الابتسامات على الوجوه السعيدة .و وتم التفوّه بالكلمات الرقيقة التي أعيدت مرات ومرات. ليس علينا أن نقول كل هذا ، وليس علينا أن نصف مدى سعادة ذلك البارون العجوز . كانت اليمامة التي طارت من عشه قد أصبحت من جديد إلى جانبه مع طفلها وزوجها. لقد انقضى ذلك العام المظلم وسطعت الشمس من جديد على ذلك البيت السعيد وكانت أكثر إشراقاً من قبل. لم يكن بيير قد رسم قطّ لوحة بمثل روعة تلك اللوحة التي حصلت على الجائزة .كانت تلك لوحته الشهيرة...

بعد أعوام طويلة كانت لدى البارون الشاب (حفيد البارون) معرضاً كبيراً جداً يحتوي على العديد من اللوحات الشهيرة كما كانت لديه مجموعة كبيرة الجوائز التي حصل عليها والتي لايمكن أن تقدر بثمن. كانت اللوحة التي حصلت على الجائزة ذات اللوحة التي حصلت على الجائزة عندما لم يكن سوى طفل صغير على ذراعي والدته. اللوحة التي تُمثّل الأم التي تحمله بحنان بين ذراعيها و الوالد الذي كان ينظر إليها والى ذلك الطفل بكل حنان.كانا قد توفيا لكنه لازال يشعر دوماً بوجودهما حوله وكأنهما أمامه.

الخطأ الفادح
The Fatal Error
للكاتب ت.ش آرثر

قالت مارغريت إيبير وعلى وجهها نظرة تنمّ على الكثير من الازدراء :

" كلينتون ! أرجوكي ، لا تُحدثيني عنه ليزي، لأن مجرد إيراد اسمه أمامي يُضايقني! "

وكانت تبدو مضطربة جداً وهي تقول ذلك .

قالت صديقتها بصوت هادئ وباهتمام :

"سوف يتواجد كلينتون بالطبع في حفلة هذه الليلة ، ولابدّ أنه سيُجدد مجاملاته وتوددهِ إليك. لكنني مع كل ما تقولينه حول كراهيتك له، لاأزال أعتقد بأنك بعيدة كل البعد عن عدم الاهتمام بالسيد كلينتون وبأنك تتظاهرين بالاشمئزاز منه لإخفاء مشاعرك الحقيقية نحوه."

أجابت الآنسة إيبير:

" ليزي سوف تضايقيني لو استمررت بالتحدّث بهذه الطريقة. قلت لك بأنني أجده بغيضاً."

قالت ليزي إدغار:

" لاشكّ بأنك أنت أدرى بمشاعرك نحوه، ولو كان ما تقولينه صحيحاً، فسوف أعترف بأنني لم أكن دقيقة الملاحظة. ولكن علي أيضاً أن أكتشف بنفسي صحّة ما قلته من أن السيد كلينتون يتسبب به لك بالكثير من النفور .، ذلك لأنني كنت أجده دوماً رجلاً محترماً."

قالت الآنسة إيبير " ليزي! عليك إذن أنت تحاولي أن تكوني لطيفة معه. "

أجابت الفتاة ذات التفكير المنطقي السليم:

" أنا أحاول أن أتعامل بلطف مع الجميع، فهذا هو واجبي تجاه من أكون بصحبتهم."

" أتفعلين ذلك سواء أكنت تميلين إليهم أو لا؟"

" هذا ما أفعله دوماً لأنه لم يسبق لي أن أحببت شخصاً كان علي أن أسيء معاملته."

قالت الآنسة إيبير " أما أنا فليس بإمكاني أن أتسامح مع الأشخاص الذين لا أحبهم."

أجابتها صديقتها " لسنا بحاجة لأن نتعامل بالكثير من الحميمية والإلفة مع الأشخاص الذين لا نحبهم. لكن علينا على الأقلّ أن نتصرف بتهذيب وكياسة عندما نجتمع بهم." " قد يكون بإمكانك أن تُخفي مشاعرك الحقيقية أما أنا فليس بإمكاني أن أفعل ذلك.، لأن مشاعري لابدّ أن تظهر فوراً على وجهي وحتى من نبرة صوتي. وبذلك كل من يراني لابدّ أن يعرفني فوراً على حقيقتي."

لكن مارغريت إيبير رغم كل تلك التأكيدات لم تكن قد عبّرت عن مشاعرها الحقيقية تجاه السيد كلينتون . كانت صديقتها ليزي إدغار على حق عندما قالت بأنها لم تكن بالفعل تهتم بالسيد كلينتون. كان

تظاهرها بالكراهية عبارة عن قناع، وكان ما تبديه تجاه السيد كلينتون من نفور وتحفظ نتيجة ما لديها من تكبّر ومن غرور أنثوي. لكن الحقيقة كانت بأنه كان قد ملك قلبها دون أن تشعر بذلك. كان مظهره الرجولي وكياسته وذكاءه اللامع قد سحرها واستولى على مشاعرها وأيقظ في نفسها شعور مبهم من الميل الشديد إليه قبل أن تكون قد أدركت بأنها أصبحت في خطر.

كانت قد مالت إليه دون أن تشعر مما جعل الشاب يلحظ اهتمامها به وبذلك كان قد انجذب إليها بدوره.

لكن مارغريت كانت قد تغيّرت على الفور عندما بدأ فيليب كلينتون يُبدي اهتمامه بها ،. ذلك لأنها أدركت مدى تهوّرها بما أظهرته من اهتمام به. كان غرورها قد نبهّها إلى خطورة ما فعلته. وبذلك كان التحفظ والكبرياء وحتى التعالي قد ميّز تصرفاتها اللاحقة تجاه السيد كلينتون وحتى تجاه من أشاروا إلى محبته لها.

كانت تُجيب على ملاحظاتهم بطريقة مماثلة تقريباً لما قالته أثناء حديثها مع صديقتها ليزي إدغار.

كان ذلك ما يُثبت ضعف تفكيرها وغرورها. كانت ترغب بأن تتم مناشدتها قبل أن يتم كسب محبتها. كان تلك هي طريقتها في التفكير وكان هذا هو المنطق الذي كانت به تُحدث به نفسها:

" على من يحبها أن يأتي إليها أشبه بفرسان الزمن الغابر وأن يتوسل إليها ويطلب رضاها وهو راكعاً أمامها."

كان كلينتون قد لاحظ ذلك التغيير في تصرفاتها ، وكان من حسن حظه أنه لم يكن مُغرماً جداً بها لكي يشعر بالتعاسة على نحو خطير . صحيح أنه كان قد أعجب بجمالها وبثقافتها وبكياسة تصرفاتها ، والأكثر من ذلك أنه كان قد بدأ يشعر بالفعل بالميل إليها، لكن الفتنة التي امتلكته بها كانت قد تلاشت على الفور من التغيير الذي طرأ على طريقة تصرفها تجاهه...

لم يكن السيد كلينتون من الرجال الذين يندفعون بنزواتهم وبذلك كانت عواطفه دوماً تحت سيطرة العقل، وما جعله يتمتع بالقدرة على الحكم على الأمور بالشكل الصحيح.

وبذلك كان السيد كلينتون الشخص الأخير في العالم الذي يُناسب التجربة التي كانت مارغريت إيبير تقوم بها .

كان في البداية قد اعتقد بأن هناك خطأ ما واستمر بالتودّد للآنسة مارغريت بكل تهذيب ، لكنها كانت تتقبل ذلك ببرود وتجاهل، وكان قد ذهب إلى إظهار أكثر مما كان يحمله لها من مشاعر ، بأن تودّد إليها بشكل خاص لكي يتبيّن تماماً فيما إذا كان مخطئاً في شعوره بأنها لا تشعر بالميل إليه وبأنها تزدريه.

لكن هناك شيء واحد لم يكن السيد كلينتون قد أدركه في البداية وهو التالي:

بأنه كلما التفت إليها فجأة وهو يتبادل الحديث مع أشخاص آخرين، كان يجدها تنظر إليه بإعجاب يدلّ على اهتمامها به. وقد حدث ذلك عدّة مرات وكان ذلك يتسبب لها بالارتباك لأنه كان يُظهر حقيقة شعورها نحوه.

لكن ذلك جعله يشعر بالازدراء لما تُبديه من استعراض ومن ذلك النفاق، ولم يكن اختبارها لمشاعره بتلك الطريقة قد زاد من رقّة مشاعره تجاه تلك الجميلة...

كان كلينتون ممن يؤمنون بالصراحة والوضوح وبالصدق وبالإخلاص المتبادل بين المحبين ،، وكان يكره الإدعاء والتظاهر والتكلّف والدلال والعبث بالمشاعر ،، وبذلك

لم تكن لعبة الآنسة إيبير قد دامت لفترة طويلة ...

كان هناك ذات ليلة حفل راقص، وبذلك أمضت الصديقتان اليوم في إعداد التحضيرات لذلك الحفل. وعندما حلّ المساء كانت الشابتان بكامل زينتهما . كانت كل منها تنتظر إثارة إعجاب الموجودين . كانت مارغريت قد اختارت ملابسها بعناية . ارتدت ثوباً طويلاً من الساتان المطرّز مما جعل قامتها النحيلة تبدو أكثر جمالاً وبذلك كانت تتطلع إلى إثارة كل ما ترغب به من الإعجاب .

كان السيد إيبير قد رافق الشابتين إلى الحفل في الوقت المحدد. وكانت مارغريت على الفور من دخولها إلى قاعة الاحتفال قد بدأت تبحث بنظرها عن السيد كلينتون ،، ولم يمض وقت طويل إلا وكانت قد اكتشفت وجوده وكان نظر كلينتون قد وقع عليها أيضاً.

حدّث الشاب نفسه " سوف أتأكد الآن مما لدي من شكوك بأنها ربما كانت تحاول أن تلعب دور عدم المبالاة تجاهي ،، وإن صدقت ظنوني فسوف ينتهي أداءها لهذا الدور هذه الليلة . "

ثم توجه على الفور إلى المكان الذي تقف فيه الشابتان . ألقى عليهما التحية وكانت ليزا قد ردّت على تحيته بصدق وكياسة ، لكن مارغريت كانت قد أجابت على إطراءه وتعليقاته ببرود وبأسلوب رسمي مقتضب ثم التفت إلى شخص آخر.

مكث كلينتون مع الشابتين لوقت قصير ثم تركهما وانضم إلى باقي المدعوين في ركن آخر من تلك القاعة الكبيرة. ثم كان خلال الساعة التي تلت يختلس النظر إلى مارغريت كلما سنحت له الفرصة ويجدها تُلاحقه بنظرها. وبذلك كلينتون حدث نفسه:

" سوف أحاول للمرة الأخيرة" ثم توجه إلى المكان الذي كانت تقف فيه برفقة أحد الضيوف وقال:

" هل لي أن أحظى بأن أكون رفيقك في الرقصة القادمة؟"

لكن مارغريت أجابته بكبرياء:

" آسفة، سبق وارتبطت برفيق آخر."

وبذلك انحنى كلينتون بلباقة وانسحب .

وكان قدر تلك الشابة قد تحدّد بذلك . نعم ، كانت قد بالغت إلى حدّ كبير بمحاولة اختبار إعجابه بها...

كان الشاب وهو في طريقه للانضمام إلى رفاقه قد لمح الآنسة ليزي إدغار. كانت الفتاة جالسة بمفردها في ركن من الغرفة ، يبدو على وجهها الاهتمام بما تشاهده من ملابس فاخرة ومن لوحات رائعة تُزين تلك القاعة الكبيرة، بحيث تبدو أشبه بمنظر طبيعي في غاية الروعة.

وقف كلينتون أمام تلك الفتاة الودودة ذات الطباع الهادئة وقال" أأنت وحدك؟"

أجابته وهي تنقل نظرها من وجهه إلى وجوه المدعوين وقد أشرقت ملامحها بابتسامة لطيفة:

" لايمكن أن يكون المرء بمفرده وهو ينظر إلى مثل هذا المشهد الرائع."

سألها كلينتون " ألم ترقصي الليلة ؟"

أجابت ليزي"رقصت لمرّة واحدة"

" هل ارتبطت برفيق للرقصة التالية ؟

" لا، سيدي."

" فإذن، هل بإمكاني أن أطلب مرافقتك في تلك الرقصة؟"

أجابت ليزي وهي تبتسم " سوف يكون ذلك من دواعي سروري."

كان كلينتون وهو يُراقص صديقة مارغريت المقربة ليزي، قد لاحظ بأن وجه مارغريت قد أصبح أكثر توهجاً عندما نظرت إليهما.، لكن غرورها جعلها مع ذلك تتظاهر بالتعالي وبعدم الاكتراث. لكن مارغريت لم تكن قد أدركت مع الأسف بأن تصرفها لم يكن قد أثار في نفس السيد كلينتون المزيد من الرغبة الجامحة لكسب محبة تلك الجميلة المتعالية ، وإنما عكس ذلك...

وكانت مارغريت بعد ذلك قد حاولت دون جدوى إثارة اهتمام كلينتون لكي يطلب منها أن تكون رفيقته في الرقصة التالية .، لكنه ظلّ واقفاً إلى جانب الآنسة إدغار إلى أن طلب منها شخص آخر أن ترافقه في الرقصة التالية.

كان كلينتون قد بدأ يشعر أكثر فأكثر بالإعجاب بتلك الفتاة الهادئة الرقيقة أكثر من أي وقت مضى .، وبذلك اضطرت تلك الفتاة البائسة مارغريت التي خاب أملها، للتخلي عن ذلك التكبّر البارد الذي كانت تتظاهر به منذ دخولها قاعة الاحتفال، وبدأت تحاول استمالة كلينتون من جديد. لكن جهودها باءت بالفشل...

كان كلينتون كما أشرنا قد بدأ يشعر بالميل إلى تلك الفتاة البعيدة عن التظاهر والتي هي أرقّ وأنقى وأكثر جاذبية منها .، وبذلك لم تعد لديه أية رغبة بالعودة إلى الفتاة التي كان برودها قد جعله ينفر منها وإلى من جعله تعاليها يشعر بالكثير من الإهانة.

كانت ليزا عندما زارت صديقتها في اليوم التالي قد وجدتها بحالة نفسية سيئة جداً. انتقدت مارغريت الحفل وانتقدت الأشخاص الذين شاركوا به بشكل مبالغ به.، وكانت عندما ورد ذكر كلينتون قد تحدثت عنه باستخفاف وسخرية...

لم يكن بإمكان ليزي أن تجد الطريقة الأنسب للتعامل مع ذلك الأمر.، ولم يكن بإمكانها أن تفهم ماهية السبب الذي يجعل مارغريت تجد ذلك الشاب بغيضاً إلى ذلك الحد.، وهذا ما جعلها تستنتج بأنها كانت مخطئة باعتقادها بأن مارغريت تهتم بالفعل بالسيد كلينتون.

وبعد بضعة أيام كان السيد كلينتون قد جاء لزيارة الآنسة إدغار، ثم أصبحت زياراته لها متواترة، إلى أن تقدم إليها بطلب الزواج وهو الأمر الذي قبلته الآنسة إدغار بكل سرور.

وكانت الآنسة مارغريت إيبير خلال الخمسة أو الستة أشهر التي تلت بداية اهتمام السيد كلينتون بالآنسة إدغار، وإلى أن أعلن عن رغبته بالزواج منها ،قد مرت بفترة من المحاولة المستمرة الضارية للتغلب على

عواطفها. كانت قد شعرت ولكن بعد فوات الأوان بما ارتكبته من خطأ بتصرفها الأحمق وأسفت لذلك للغاية . ناضلت بكل ما لديها من عزم لاستعادة اهتمام السيد كلينتون وحبه لها ، لكن محاولاتها لاستعادته كانت قد باءت بالفشل .

كانت ليزي أثناء ذلك تُحدثها دوماً عن تودّد كلينتون لها دون أن تُدرك بأن وقع كل كلمة تقولها كان أشبه بضربة مؤلمة تُصيب صديقتها في الصميم. كانت تلاحظ بأن مارغريت لم تعد سعيدة وتطلب منها دوماً أن تعلمها عن سبب ذلك القنوط ، لكنها لم تكن تتخيل مطلقاً طبيعة الألم الذي تعاني منه صديقتها.

ثم كانت ليزا ذات يوم قد أعلمت مارغريت أخيراً ، وقد توهج وجهها لشدة السعادة ، بأن كلينتون اعترف لها بحبه وطلب الزواج منها.

لم تتمكن مارغريت لبعض الوقت من الإدلاء بأية ملاحظة. كان قلبها قد بدأ يخفق بشدّة، لكنها تمالكت نفسها وأخفت مشاعرها وبادرت إلى تهنئة ليزي بكل حرارة. وهذا ما جعل ليزي تُخدع على الرغم من أنها لاحظت أن في طريقة تصرف صديقتها شيئاً غريباً لم يكن بإمكانها تفسيره.

ثم كانت الفتاة السعيدة بعد فترة شهرين قد بادرت صديقتها بالقول :

" أريدك أن تكوني اشبينة العروس في حفل الزفاف."

سألتها مارغريت" لِم لم تختاري فتاة أخرى؟"

أجابتها ليزي وهي تعانقها وتقبلها:

" لأنني أحبك أكثر من جميع صديقاتي."

سَرت رعشة في مارغريت وحدّثت نفسها بما ليس بإمكانها أن تُفصح عنه ،، وبما ليس لعيني صديقتها أن تكشفا عنه من ألم دفين كان يُمزق قلبها:

" لا.. لا هذا مستحيل ! ليس بإمكاني أن أفعل ذلك!."

لكنها أجابتها " سوف أفعل ما ترغبين به بكل سرور."

وكانت ليزي قد لاحظت اضطرابها وقالت لها على سبيل الدعابة:

" هل أسأت فهم ما قصدته ؟ كنت أقصد بذلك زواجي وليس مأتمي."

كانت تلك الدعابة قد جعلت مارغريت تتمالك نفسها بسرعة وتبادر إلى تقبيل ليزي وإلى تهنئتها بكل حرارة... ولم تكن مارغريت منذ ذلك اليوم والى أن حلّ يوم زفاف صديقتها، قد نطقت بأية كلمة قد تكشف عما يعتلج قلبها.

كانت معاناتها في غاية القسوة ، فقد أدركت ، رغم فقدانها كل أمل ، بأنها تحب كلينتون إلى درجة الهيام ،، وكان كبرياءها وقوة إرادتها مكناها من إخفاء ذلك السرّ دون يجعلانها تنسى تلك العاطفة إلى أن حلّت ليلة زفاف ليزي إدغار التي دُعي إليه حشد كبير من المدعوين . استيقظت مارغريت صبيحة ذلك اليوم بوقت مبكر . كانت تشعر بالكآبة وبحزن شديد ،،أخذت تبكي وتبكي وهي تتمنى أن تموت. كان لايزال أمامها هناك الكثير من الوقت للتفكير بالطريقة التي كانت قد صدّت شخص تشعر تجاهه بذلك القدر الكبير من

المحبة ... كانت قد صدته بأسلوب أحمق إلى أن جعلت عودته إليها مستحيلة . جعلتها المعاناة تندم لكنها كانت قد طهرّت نفسها رغم ما كان في قلبها من نبضات الألم. وعندما اقترب الوقت الذي كان عليها فيه أن تكون إلى جانب صديقتها وأن تستمع إلى عهود المحبة الدائمة بين العروسين، وهو ما كانت على استعداد لأن تهب العالم بكامله لكي يكون لأجلها .، أسرعت إليها وهي تشعر بأنها سوف تتعرض لامتحان ليس بمقدورها أن تحتمله .، لكن لم يكن هناك مَفر أو مجال للانسحاب.

بدأت مراسم الزفاف وبدأ بذلك الامتحان . كانت مارغريت وهي تقف إلى جانب صديقتها أمام الكاهن تشعر بأن قواها تخور.، لكنها قاومت ذلك بكل ما لديها من مقدرة ، واستطاعت أن تحافظ على هدوئها وأن تسيطر على نفسها خشية أن تكون المعاناة قد بدت عليها .، إلى أن كان الكاهن بعد نهاية مراسم الزواج قد أعلن بصوته المؤثر:

" أصبحتما الآن زوجاً وزوجة "

حينئذ ارتعشت مارغريت وخارت قِواها تماماً وكادت تسقط على الأرض لولا أن كان الكاهن قد أمسك بيدها وأنقذها في الوقت المناسب.

مرّ عشرون عاماً على تلك الليلة التعيسة ولم تكن مارغريت قد تزوجت . كانت قد استغرقت وقتاً طويلاً كي تُشفى من الألم الذي كان يُلهب قلبها.، لكنها عندما استطاعت أخيراً أن تفعل ذلك، كانت جميع العواطف والأحاسيس قد خمدت في قلبها إلى الأبد...

هناك فارق

There is a difference

للكاتب هانس كريستيان أندرسون

كان ذلك شهر أيار (مايو). كانت الرياح لاتزال باردة لكن الغابات والأشجار والسهول كانت جميعها توحي بقدوم الربيع . وحتى أن بعض الزهور البرية كانت قد نمت على الحافات . كان الربيع قد بشر بقدومه بغصن تدلّى من شجرة تفاح صغيرة انتشرت عليه براعم زهور قرنفلية بدأت تتفتح...

كان غصن شجرة التفاح يعلم تماماً بأنه في غاية الجمال، ذلك لأن المعرفة أمر فطري في ورق النبات كما هو في دماء البشر، لذا لم يَعجب ذلك الغصن عندما توقفت عربة أحد النبلاء في الطريق المقابل لشجرة التفاح و سمع الكونتيسة الشابة تقول بأن شجرة التفاح تعتبر الرمز الأكثر فتنة في الربيع، وبأنها أجمل ما يُمكن أن يقع عليه النظر . كانت بعد ذلك قد كسرت ذلك الغصن بكل عناية وحملته بيدها الناعمتين تحت مظلتها الحريرية. انطلقت العربة من جديد إلى القصر حيث القاعات الواسعة والغرف الفاخرة والستائر البيضاء التي تُرفرف فوف النوافذ المفتوحة، والأزهار اليانعة في المزهريات الشفافة الجميلة...

وضعت الكونتيسة ذلك الغصن الجميل بين حزمة من أغصان شجر السنديان في إحدى تلك المزهريات التي تُشبه ببياضها قطعة من الثلج. كان شكل الغصن رائعاً بالفعل وكان الغصن قد بدأ يشعر بذلك يشعر بالغرور، وهذا ما يُشبه تماماً طبيعة البشر.

ثم دخل القاعة العديد من الأشخاص، كان كل منهم يُبدي إعجابه بذلك الغصن وكانوا قد بالغوا في ذلك.وهذا ما جعل غصن شجرة التفاح يشعر بسرعة بأن هناك اختلاف بين أنواع النباتات، وحدّث نفسه وهو ينظر من النافذة المفتوحة التي بإمكانه أن يُشاهد منها الحديقة والحقول المزدانة بالعديد من الزهور ومن النباتات الجميلة جداً وإلى جانبها بعض النباتات العادية ، النباتات العادية جداً :

" خلق الله تعالى بعض النباتات لكي يتأمل الناس جمالها ، كما خلق نباتات أخرى لكي تم الاستفادة منها فقط ، وبعض النباتات التي بإمكان المرء أن يستغني عنها تماماً."

ثم قال " كم أرثي لحال تلك الأعشاب التي لا يهتم بها أحد ! لاشكّ أن هناك فارق بين أنواع النباتات ! لابدّ أن تلك النباتات العادية تشعر بالكثير من الأسى، هذا لو كانت لديها ما لدي ومن لدى أمثالي من الأحاسيس والمشاعر.

هناك بالتأكيد فارق كبير بينها، وعلى المرء أن يُميّز بينها وإلا لكنا جميعاً بذات المستوى."

ثم نظر غصن شجرة التفاح إلى تلك النباتات بإشفاق وبشكل خاص إلى نوع الزهور التي كانت تنتشر بكثرة في الحقول وقال:

" كم أشعر بالأسف على هذه النباتات التي لم يقم أحد بجمعها في باقة ذلك لأنها عادية جداً وبإمكان المرء أن يجد الكثير منها حتى على الأرصفة، كما أن لها أسماء بغيضة مثل " هند باء بريّة" و" فم الكلب"

وقال من جديد " أنا أرثي لحالك أيتها النباتات المُهملة. لكن ليست غلطتك أن تكون لك مثل تلك الأسماء البغيضة فلابد أن يكون هناك اختلاف وفارق بين النباتات كما هو الوضع بين بني البشر!..."

وعندما سمعه شعاع الشمس قال :

" أتعتبر بأن هناك فارق؟"

ثم لثم شعاع الشمس غصن التفاح المُتفتح وجميع رفاقه من الزهور الجميلة الأخرى ولثم كذلك زهور الهند باء البريّة المنتشرة في الأحواض والحقول .

لكن ذلك الغصن لم يكن قد فكر إطلاقاً برحمة الله تجاه جميع المخلوقات والأحياء... ولم يكن قد فكر كم قد يَكمن من جمال وطيبة في تلك النباتات وبأن الله تعالى لا ينسى أحداً من مخلوقاته، وهذا أيضاً مشابهاً لطبيعة الجنس البشري...

لكن أشعة الشمس التي كانت تعرف ذلك أكثر قالت له:

" يبدو بأنه ليست لديك نظرة بعيدة وواضحة للأمور، ما هي النباتات التي تشعر نحوها بشكل خاص بالإشفاق أكثر من غيرها.؟"

أجاب غصن شجرة التفاح " الهندباء ! فلم يسبق أن جمعها أحد في باقة ، فالأقدام تدوسها دوماً كما أن هناك الكثير منها وهي عندما تتحوّل إلى بذور تطير وتلتصق بملابس الناس. ليست سوى عشبة ضارة ... لكن لابدّ أن تكون هناك بعض الأعشاب الضارة في هذا الكون، وأنا بالفعل أشكر الله لأنني لم أخلق من ذلك النوع من النباتات."

ثم كانت مجموعة من الأطفال قد جاءت إلى الحقل المقابل ،. كان أصغرهم سناً صغير الحجم للغاية مما جعل الآخرون يحملونه على أكتافهم . كان ذلك الطفل عندما أنزلوه عن أكتافهم على العشب الذي انتشرت عليه زهور صفراء جميلة، قد بدأ يضحك ببهجة وبصوت مرتفع ويتدحرج على العشب ويقطف الزهور الصفراء ويقبلّها ببراءة الأطفال. وكان الأولاد الأكبر سناً قد اقتطفوا تلك الزهور وربطوها معاً في حلقة الواحدة بالأخرى وصنعوا منها عقداً ثم صنعوا منها أيضاً سبحة طويلة وكان ذلك أشبه بمهرجان احتفالي.

ثم جمع الأولاد الأكبر سناً سوق النباتات التي تتدلى عليها تلك الكرات البيضاء وأخذوا ينفخون عليها ، ذلك لأن جداتهم كانوا قد قالوا لهم بأن من بإمكانه أن يفعل ذلك لابدّ أن يحصل على ملابس جديدة قبل أن يمر العام. وهكذا كانت تلك الزهرة المُهملة قد ارتفعت إلى مرتبة العرّاف الذي ينبئ بفأل الخير .

قال شعاع الشمس لغصن التفاح :

" هل رأيت ذلك؟ هل شاهدت أين يَكمُن جمال تلك الزهور؟ هل رأيت ما لها من تأثير؟"

أجاب غصن شجرة التفاح " نعم ، لكن تأثيرها على الأطفال فقط."

ثم جاءت إلى الحقل بعد قليل سيدة مُسنّة، وبدأت تحفر حول جذور نباتات الهند باء بسكين غير حادّة ثم سحبتها بعد ذلك من الأرض. كانت تنوي أن تُعدّ لنفسها بتلك الجذور بعض الشاي، وتبيع الباقي للصيدلي.
قال غصن شجرة التفاح " لكن الجمال شيء أرفع من ذلك والقليلون من يُصنفون ذلك في عالم الجمال، هناك فارق بين النبات كما أن هناك فارق بين بني البشر."
ثم تحدث شعاع الشمس إلى غصن شجرة التفاح عن الحب اللانهائي، الحب الذي لا حدود له للخالق الذي يتجلى في خَلقه وفي توزيعه العادل للأمور.
لكن غصن شجرة التفاح أصرّ بالقول:
" نعم ، نعم ، ربما كان ذلك لكن هذا رأيك فقط ."
ثم ظهرت بعد قليل الكونتيسة الجميلة التي وضعت غصن شجرة التفاح في ذلك الإناء الشفاف الجميل تحت أشعة الشمس.
كانت تحمل بيدها زهرة أو شيء يُشبه ذلك. كان ذلك الشيء مُحتجباً وراء ثلاث أو أربع أوراق كبيرة كما لو أنها ستارة تحميه من عصف الريح وكانت تحملها بعناية أكثر بكثير من العناية التي كانت قد أولتها لذلك الغصن.
كانت بعد قليل قد نزعت بلطف الأوراق الخضراء وبذلك ظهرت تلك البذرة ذات الزئبر (الوبر) الخفيف. نفخت عليها الكونتيسة برفق دون أن تصاب بأذى وبعثرتها في الهواء وهي تبدي إعجابها بشكلها الجميل وبتركيبتها المُتميزة وبجمالها وقالت:
" انظروا إلى هذا الجمال المُتميّز الذي خلقه الله في هذه النبتة، سوف أرسمها كما سأرسم غصن شجرة التفاح. لقد حصلت هذه الزهرة من الخالق على ما لدى غصن شجرة التفاح من جمال ولكن بطريقة أخرى، كلاهما صنيعة الله في مملكة الجمال.
وكانت أشعة الشمس قد قبّلت تلك الزهرة المتواضعة كما قبلت ذلك الغصن التي كانت أوراقه قد اصطبغت بحمرة الخجل

ثمرة السعادة

The fruit of happiness

للكاتب هاورد بايل

كان هناك في سالف الأزمان خادم يعمل لدى رجل يتمتع بالكثير من الحكمة. كان ولمدة سبع سنوات ويوماً بعد يوم يُنظف له المنزل ويطهو له الطعام.

كان الخادم سعيداً بعمله لدى ذلك الرجل، ولكن ليس هناك من يحتمل البقاء في ذات المكان إلى الأبد مما جعله ذات يوم يُفكّر بأن الوقت قد حان لأن ينطلق في العالم لكي يبحث عن ما يمكن أن يُحققه لنفسه.

قال له سيده الرجل الحكيم :

" جيد جداً، كنت لمدة سبع سنوات قد خدمتني بكل إخلاص، وها أنت تُعلمني الآن برغبتك بالمغادرة، لكن ليس لدي مع الأسف ما أمنحه لك من مال ، لذا سيكون عليك أن ترضى بما بإمكاني أن أمنحه لك . انظر إلى هذه الحُصاة الصغيرة ، وهي حصاة لايمكن أن يحصل المرء على مثلها في أي من الممالك السبع لأن بإمكان من يحملها في فمه أن يسمع ما تقوله جميع الطيور والحيوانات لبعضها البعض. خذها ! أصبحت لك الآن!..

لو استخدمتها بحكمة فسوف تجلب لك الحظ."

كان الخادم يُفضّل الحصول على المال بدلاً من تلك الحُصاة السحرية، لكنه تناولها من الرجل الحكيم ما دامت الشيء الوحيد الذي بإمكانه أن يحصل عليه ،. ثم ودّع سيده وانطلق في العالم الكبير لكي يبحث عن قدَره وحظه.

حسناً ، مشى ومشى وأخذ يتنقل من بلدة لأخرى وكان خلال ترحاله يُنفق ما ادخره من القليل من المال أثناء فترة عمله لدى سيده خلال السنوات السبع الماضية دون أن يحدث له أي شيء جيّد إلى أن وصل ذات صباح إلى مكان كانت فيه بعض المشانق. جلس لكي يأخذ قسطاً من الراحة رغم أن ذلك المكان لم يكن المكان المناسب الذي قد يجد فيه المرء حسن الطالع. وبينما كان جالساً حطّ غرابان فوق أحد القضبان، ثم بدأ كل منهما يتحدث إلى الآخر وبذلك وضع الخادم تلك الحُصاة في فمه لكي يسمع ما يقولانه.

قال الغراب الأول " انظر يوجد هنا رجل رحالة في هذا العالم."

قال الآخر " نعم، ولو كان يعلم كيف عليه أن ينطلق في رحلته فسوف يكون من ذوي الحظ السعيد."

قال الغراب الأول " وكيف بإمكانه أن يُحقق ذلك؟"

قال الغراب الآخر" لو علم كيف بإمكانه أن يصل إلى الطريق التي تقع هناك إلى جانب الهضبة فسوف تقوده إلى صخرة تقع عند تقاطع طريقين يجلس إلى جانبها رجل عجوز، ولو سأل ذلك الرجل فسوف يقوده إلى حديقة توجد فيها شجرة السعادة."

قال الغراب الأول " شجرة السعادة ! وما هي الفائدة التي سوف يحصل عليها من شجرة السعادة؟"

" أتسأل ما الذي قد يستفيده منها ؟ اعلم يا صديقي بأنه لايوجد في كل العالم مثل تلك الشجرة ،كل ما على الشخص هو أن يحمل ثمرتها بين يديه وأن يُضمر في نفسه أية أمنية ،وسوف تتحقق هذه الأمنية مهما كانت ، وسيحصل على أي شيء يطلبه ."

لاشك أن بإمكانكم أن تُخمّنوا بأن ذلك الخادم عندما فهم حديث الغرابين ، لم يتأخر عن الاستفادة من المعلومة التي سمعها وبذلك اندفع على الفور نحو تلك الطريق وبأسرع ما بإمكان ساقيه أن تحملانه. ركض وركض إلى أن وصل إلى تقاطع الطريق التي أشار إليها ذلك الغراب وشاهد الرجل العجوز جالساً هناك. ألقى عليه الخادم تحية الصباح ولم يكن بإمكانه بالطبع أن يعلم بأن من سيتحدث إليه كان من الملائكة ولم يكن من الأشخاص العاديين؟

سأله العجوز " إلى أين تتوجه أيها الرفيق؟"

" في هذا العام الكبير لكي أبحث عن حظي ، وما أريده منك أن ترشدني إلى المكان الذي بإمكاني أن أجد فيه شجرة السعادة فهل ستفعل ذلك؟"

قال العجوز " أنت تطلب مني ماهو في غاية الأهمية والصعوبة ، لكنني مع ذلك لن أرفض طلبك . لكن عليك أن تعلم بأن الكثيرون بحثوا قبلك عن تلك الشجرة، وبأن القليلون جداً من عثروا عليها. كما أن هناك شرط عليك تنفيذه لو أنني قمت بإرشادك إلى مكان تلك الشجرة : سوف تعترضك خلال رحلتك الكثير من الأشياء الغريبة التي سترغب بالاستفسار عنها ، لكن عليك ألا تسأل عن أي منها وألا تتفوه بأية كلمة . هل توافق على ذلك ؟"

أجاب الخادم " نعم، أنا أوافق على ذلك."

قال له العجوز " جيد جداً ، دعنا ننطلق بسرعة نظراً لأن علي انجاز بعض الأعمال الأخرى في البلدة هذه الليلة ولأن الطريق إليها بعيدة جداً."

أمضيا اليوم بكامله في طريقهما إلى تلك الحديقة إلى أن وصلا قرب المساء إلى بلدة ذات سور عالٍ وأبراج مرتفعة جداً. دخل الرجل الذي يرافقه من السور كما لو أنه كان يعرف المكان جيداً ، ثم توجّه من شارع إلى شارع إلى أن وصلا إلى منزل جميل منعزل يقع في مكان أبعد من باقي المنزل الأخرى ، تُحيط به من كل جانب حدائق جميلة وتنتشر فيها الزهور والأشجار المثمرة. توقف الرجل هناك وأخرج من تحت سترته مزماراً صغيراً وبدأ يعزف عليه لحناً في غاية العذوبة يجعل السكون يحلّ في قلب من يسمعه.

حسناً، عزف العجوز وعزف على ذلك المزمار إلى أن فُتح الباب، وخرج منه أحد الخدم وقال:

" أنت يا عازف المزمار هل ترغب بكسب الكثير من المال لقاء عزفك ؟"

أجاب الرجل " نعم ، أنا أريد ذلك بالطبع وهذا هو سبب مجيئي إلى هذا المكان."

قال الخادم " عليك إذن أن تتبعني "

وضع العجوز مزماره جانباً ودخلا معاً .

قادهما الخادم من غرفة إلى غرفة، كل منها أكبر من الغرفة الأخرى إلى أن وصلا إلى قاعة كبيرة كانت تُقام فيها مأدبة احتفالية، يقوم على خدمتها العديد من الخدم. لكن لم يكن هناك على المائدة سوى شاب واحد تبدو عليه علامات الأسى مما يجعل قلب من ينظر إليه ينفطر لشدة الحزن. قال الشاب:

" هل بإمكانك أن تعزف لي على المزمار؟"

قال عازف المزمار " نعم، بإمكاني ذلك فأنا أعرف اللحن الذي بإمكانه أن يشفي الأحزان ، لكن علينا أنا وصديقي قبل ذلك أن نحصل على بعض الطعام والشراب فليس بإمكاني العزف عندما أكون جائعاً."

قال الشاب " ليكن ذلك، اجلسا وتناولا الطعام برفقتي."

جلس الاثنان على الفور وتناولا من الطعام والشراب ما لم يسبق لهما تذوقه. وكان الشاب بينما كانوا يحتفلون معاً قد روى لهما قصة حياته التي كانت محزنة للغاية. قال:

كان منذ عام مضى قد تزوج من شابة من أجمل الفتيات في المملكة، وكان له الكثير من الأصدقاء والرفاق، وكانت جميع الأمور تسير على هواه في هذا العالم . لكن كل شيء تحول فجأة إلى الأسوأ ، وبدأ هو وزوجته يتشاجرا يومياً إلى أن لم يعد بإمكانهما الاستمرار بالعيش معاً . وبذلك تركته زوجته وعادت إلى ذويها، كما هجره رفاقه أيضاً ولذا فهو الآن يعيش بمفرده.

قال العجوز " من الواضح أن وضعك سيء جداً ، لكن الوقت لم يفت بعد على الشفاء."

ثم أخرج المزمار وبدأ يعزف لحناً في غاية العذوبة لم يُسمع مثله قطّ. عزف وعزف لحناً بعد لحن إلى أن شعر كل من أصغوا إليه بالنعاس تثاءبوا في البداية ثم أغلقوا أعينهم وغرقوا في نوم عميق كما لو أنهم لن يستيقظوا منه إلى الأبد، وكان الرجل العجوز فقط والخادم من ظلا مستيقظين.

بعد أن استغرق الجميع في النوم، نهض العجوز وتوجه نحو الشاب وأخذ من بين إصبعه خاتماً بحجرة ياقوت حمراء جميلة جداً أشبه بشعلة من النيران ووضعه في جيبه.

ثم قال للخادم :

" تعال معي آن الأوان لمغادرتنا " ثم خرجا وأُغلق الباب ورائهما.

كان الخادم طوال الوقت واقفاً ينظر بكل دهشة إلى ما فعله ذلك العجوز وإلى الأسلوب البغيض الذي تصرف به تجاه ذلك الشاب البائس بأن سرق منه خاتمه الياقوت بعد أن قدم إليهما الطعام والإقامة. كانت تدور في ذهنه مئات الأسئلة أشبه بأزيز الآلف من حشرات النحل لكنه تذكر بأن عليه ألا يسأل عن شيء مهما وجده غريباً وبذلك التزم الصمت.

وفي اليوم التالي استأنفا سيرهما إلى أن وصلا إلى غابة واسعة. تجولا فيها إلى أن حلّ الليل ووجدا نفسيهما يتعثران في الظلام وكان الخادم البائس قد بدأ يسمع زمجرة الوحوش وعواء الذئاب حولهما.

لكن ذلك العجوز (الملاك) لم يكن قد تفوّه بكلمة واحدة ولم يكن يبدو خائفاً من أي شيء وكان يتقدم إلى الأمام إلى أن شاهدا ضوءاً يلمع عن بعيد، وعندما وصلا إليه وجدا هناك بيتاً من الحجارة .كان شكل ذلك البيت كئيباً وبغيضاً للغاية. توجه إليه العجوز وقرع الباب الذي فُتحته بعد فترة امرأة عجوز

قبيحة جداً محنية الظهر أشبه بغصن شتوي. لكن القلب الذي في جوانبها كان طيباً جداً. هتفت تلك العجوز بدهشة:

" وحاسرتا، أيها الرجلين!.. لم أتيتما إلى هنا ؟ فهذا وكر تعيش فيه عصابة من اللصوص الأشرار. هم يخرجون كل ليلة لكي يسرقوا ويقتلوا المسافرين أمثالكم. سوف يعودون بعد قليل، ولابد أنهم سيقتلونكما الو شاهداكما هنا."

قال العجوز " لا أهمية لذلك فليس بإمكاننا أن نذهب الليلة إلى أبعد من هذا المكان، لذا عليك أن تستقبلينا وتُخبئينا بقدر ما بإمكانك ذلك."

ثم دخل يتبعه الخادم الذي كان يرتعد لشدة الخوف. أعطتهما العجوز بعض الطعام ثم خبأتهما في خزانة فارغة تستخدم لحفظ الطعام حيث تمددا هناك أشبه بفأرين.

ثم وصلت عصابة اللصوص بعد قليل كانوا يضجّون ويصخبون، ثم جلسوا أمام مائدة الطعام. كان الخادم البائس من مخبأه يُصغي إلى أحاديثهم عن الأشياء المروّعة التي ارتكبوها طوال اليوم وعن الأشياء التي سرقوها وعمن قتلوهم، وهو يرتجف وتصكّ أسنانه. لكن اللصوص لم يكونوا على علم بوجودهما . بعد أن استغرق اللصوص في النوم قرب الفجر، نهضا وخرجا من المكان الذي كانا مختبئين فيه. قال العجوز (الملاك) للخادم:" انتظر قليلاً علينا أن نُسدّد لهم أجور إقامتنا."

وكان وهو يتكلم قد أخرج من جيبه خاتم الياقوت الذي سرقه من يدّ ذلك الشاب الحزين ورمى به في الكأس الذي كان رئيس عصابة اللصوص يشرب منها، ثم قاده إلى خارج المنزل...

لو كان الخادم قد عَجب في اليوم السابق مما فعله العجوز ، فقد كانت دهشت أكثر بعشر مرات وهو يشاهده يمنح ذلك الخاتم الرائع إلى مثل أولائك اللصوص المتوحشين.

وفي الليلة الثالثة من ترحالهما وصلا إلى كوخ صغير. كان ذلك الكوخ نظيفاً رغم مظاهر الفقر التي تبدو عليه. قرع رفيقه الباب وطلب الإقامة في الكوخ. كان يسكن في ذلك الكوخ عجوز فقير وزوجته لم يكن لديهما حتى ما يكفي لإعالتهما، لكنهما رغم العِوز الذي كانا فيه رحبا بالمسافرين ووضعا أمامهما أفضل ما في منزلهما من طعام وشراب ثم أمنا لهما سريراً نظيفاً ناصع البياض وبذلك أمضيا الليلة هناك...

وفي صباح اليوم التالي وقبل بزوغ الفجر قال العجوز للخادم

" انهض فلدي ما أقوم به قبل مغادرتي هذا المكان."

وكان ما قام به من أغرب الأمور ،. فعندما خرجا من المنزل جمعا كومة كبيرة من القش وبعض القضبان ووضعاها في زاوية المنزل ثم أشعلا فيها النار التي التهبت بينما كانا يبتعدان عن المكان.

وكان الخادم رغم دهشته قد تذكر مع ذلك وعده بألا يوجه إليه أية أسئلة مهما كانت غرابة ما يشاهده ، بينما لم يكن يبدو على رفيقه أي اهتمام بالأمر.

استمرا في سيرهما إلى أن وصلا قرب المساء إلى كوخ صغير تنتشر حوله الكثير من أشجار التفاح والد راق من أجمل وأشهى ما رأته العين.

كانت تُيم في ذلك الكوخ أرملة مع ولدها الوحيد وبذلك رحبا أيضاً بالمسافرَين ومنحاهما الطعام والإقامة.
ولم يكن رفيقه العجوز هذه المرة قد فعل ما جيد أو سيء في ذلك المنزل ، لكنه في صباح اليوم التالي أعلم الأرملة عن الجهة التي يقصدانها وسألها فيما إذا كانت تعلم شيئاً عن الحديقة التي بإمكانهما أن يجدا فيها شجرة السعادة.
قالت الأرملة " نعم، نحن نعلم ذلك، كما أن تلك الحديقة لا تبعد عن هنا كثيراً.سوف يرافقكما ولدي بنفسه لكي يرشدكما إلى المكان الذي تقع فيه."
قال العجوز " هذا جيد وسوف أكافأه على جهده."
ثم انطلق الثلاثة معاً من هضبة لأخرى ثم إلى أسفل الوادي إلى أن وصلا إلى أخر هضبة وبذلك شاهدا هناك تلك الحديقة.
كم كان ذلك المشهد رائعاً !... كانت أوراق الأشجار تبدو مضيئة تلمع أشبه بمجوهرات تحت أشعة الشمس!
وكانت في منتصف تلك الحديقة شجرة ذهبية عليها ثمار ذهبية. وبذلك أدرك ذلك الخادم الذي سافر طوال تلك الفترة إلى تلك المسافات البعيدة إلى أين وصلا.، ولم يكن هناك حاجة لأن يُعلمه أحد بأنها كانت الشجرة التي عليها ثمرة السعادة. لكن كل ما كان بإمكانه أن يفعله هو أن يقف وينظر إليها .، كان يفصلهما عن تلك الشجرة جسر فوق سيل جارف تهدر فيه المياه وبذلك كان على المرء أن يجتازه لكي يصل إلى تلك الشجرة.
أشار الشاب الذي رافقهما إلى الحديقة وقال :
" تقع الشجرة التي تبحثا عنها وراء ذلك الجسر بإمكانكما الآن أن تريانها.
لم يتفوه العجوز بأية كلمة وإنما أمسك فجأة برقبة الفتى ورفعه ثم رمى به في المياه الهائجة الداكنة، وكان الفتى بذلك قد سقط فوق الصخور. ثم صاح :
"هاهي مكافأتك على خدمتك!..."
عندما شاهد الخادم ذلك التصرف القاسي الشرير لم يعد بإمكانه أن يصمت ، وكان كل ما التزم الصمت بشأنه خلال الأيام السبع الماضية قد خرج من فمه أشبه بفورة من الزبد. خرجت السباب من فمه وانصبّت على رفيقه بعبارات لم يسبق أن سمعها. لكن العجوز الذي لم يجب بأية كلمة على كل ما قاله الخادم إلى أن توقف عن الكلام قال له أخيراً :
" يالك من بائس !... لو التزمت الصمت لدقيقة واحدة فقط لكنت ستحصل على ثمرة السعادة. لكن أيام طويلة سوف تمر بعد الآن إلى أن تتمكن من رؤيتها.من جديد."
وكان بعد أن قال ذلك قد غرز عصاه في الأرض. اهتزت الأرض وأظلمت السماء وأصبحت بظلمة الليل . ، ثم ظهر فجأة وميض من البرق لف ذلك العجوز باللهب وحمله نحو السماء إلى أن اختفى نهائياً...
كانت السماء قد أشرقت بعد ذلك من جديد ، لكن الحديقة وشجرة السعادة كانتا قد اختفتا عن ناظريه ولم يعد هناك ما يراه المرء على الأرض سوى عظام من جاؤوا عبر سنوات مضت للبحث عن تلك الثمرة ...

وكان ذلك الخادم البائس قد استغرق وقتاً طويلاً بعد ذلك لعثور على الطريق الذي يعيده من جديد إلى العالم. كان المنزل الأول الذي قابله هو بيت تلك الأرملة .، وعندما شاهده تساءل " ما هذا التغيير الذي طرأ عليه؟... لم يعد منزلاً فقيراً وإنما أصبح منزلاً يليق بملكة. كانت الأرملة واقفة بانتظاره أمام الباب وهي ترتدي الملابس التي تليق أيضاً بملكة تُزينها الأحجار الكريمة.

وقف الخادم مشدوهاً أشبه بمن فقد صوابه ثم سألها:

" كيف حدث كل هذا التغيير؟ وكيف حصلت على كل هذه الأشياء الثمينة؟"

أجابت الأرملة " كان ولدي في تلك الحديقة وقد جلب لي من هناك ثمرة السعادة. كنا قد بحثنا عنها لأيام عديدة ولكن لم يكن بإمكاننا الدخول إلى الحديقة إلى جاء أمس ملاك وأرشد ولدي إلى الطريق ، وبذلك تمكن من الحصول على ثمرة السعادة لنفسه كما أحضر لي أيضاً ثمرة مماثلة .

وبذلك كان ذلك المسافر قد أدرك بأنه لو كان قد التزم الصمت لفترة أطول لكان قد حصل هو أيضاً على إحدى تلك الثمرات.

نعم، كان قد أدرك بأنه كان مخبولاً لأنه لم يدرك بأن من رافقه في رحلته لخمسة أيام كان ملاكاً، لكننا جميعاً في الحقيقة مثل ذلك الخادم في هذه الأمور..

كان الخادم قد أمضى تلك الليلة في منزل الأرملة ثم انطلق في طريقه من جديد في صباح اليوم التالي. وعندما وصل إلى منزل الرجل الفقير الذي كان الملاك قد أشعل النيران فيه ، دهش أيضاً للغاية عندما شاهد العجوز واقفاً يرقب البنائين وهم يعملون بجدّ في إشادة منزل جميل جديد. سأله الخادم:

" كيف حدث ذلك ؟ اعتقدت بأن منزلك قد احترق بكامله."

قال العجوز " هذا ما حدث بالفعل لكن هذا أيضاً ما جعلني أصبح ثرياً. كنت وزوجتي نعيش في منزلنا القديم لسنوات طويلة دون أن نعلم بأن هناك كنز من الفضة والذهب مخفياً تحته إلى أن جاء إلينا ذلك الملاك وأحرقه بكامله وبذلك وجدنا ذلك الكنز وأصبحنا أثرياء لمدى الحياة...

وكان الخادم قد انطلق من جديد في طريقه وهو يشعر بالحزن والإحباط أكثر من أي وقت مضى إلى أن وصل قرب المساء إلى منزل الأرملة العجوز الذي تُقيم فيه عصابة اللصوص . وجد الأرملة العجوز أمام الباب. رحبت به وقالت:

" أتعلم، لقد مات جميع اللصوص وأنا الآن أستخدم ما تركوه من أموال لمساعدة الفقراء مثلك. كان ذلك الملاك قد جلب ذلك الخاتم الذي يُثير الشجار والغضب ووضعه في كأس رئيس العصابة. وهذا ما جعلهم بعد ذهابكما يتشاجرون معاً إلى أن قتل كل منهم الآخر. وقد أصبحنا الآن في أمان بعد أن تخلصنا منهم، وأصبح بإمكان المسافرين المرور من هنا كلما رغبوا بذلك.

انطلق الخادم من جديد في طريقه وكان في اليوم التالي قد وصل إلى المدينة التي يُقيم فيها ذلك الشاب الحزين. وكان أيضاً بدلاً من يجد ذلك المنزل كئيباً صامتاً وحزيناً قد وجده بهيجاً مشرقاً تنطلق منه أصداء

الاحتفالات. وحدث أن كان أحد الخدم واقفاً أمام الباب وبلك عرف بأنه الرجل الذي كان برفقة الشخص الذي سرق خاتم الياقوت. اقترب منه وأمسك به ثم نادى رفاقه وقال " ها قد مسكت باللص"

أدخلوا الخادم البائس إلى ذات الغرفة السابقة، لكن ما شاهده كان بأن ذلك الشاب كان جالساً هناك يحتفل وإلى جانبه زوجته وأصدقائه. عندما شاهد الشاب الخادم توجّه إليه على الفور وأمسك بيده واصطحبه إلى المائدة وقال:

" لايوجد من يستحق مني الترحيب سواك ."

ثم أعلمه بأن أحد أعدائه كان قد أعطاه ذلك الخاتم ولم يكن يعلم بأنه خاتم الخلاف الذي ينشر التنافر والنزاع في أي مكان يكون فيه. وهذا ما جعل زوجته وأصدقائه يهجرونه لأنه كان يتشاجر معهم على الدوام. ثم قال :

"لم أكن أعلم بأن صديقك الذي سرق مني ذلك الخاتم كان ملاكاً.، وأنا الآن في غاية السعادة ولم أعد حزيناً كما كنت.

كان الخادم في الليلة التي تلت قد عاد إلى منزل ذلك الرجل الحكيم. بنج بنج !..قرع الباب وعندما فتح سيده الباب سأله " ما الذي تريده؟"

قال الخادم " أريد أن أعود إلى خدمتك من جديد."

قال الرجل الحكيم " جيد جداً، تعال، ادخل وأغلق الباب خلفك."

وما أعرفه هو أن ذلك الخادم لايزال في خدمة سيده حتى اليوم .

لم يكن ذلك الخادم الشخص الوحيد الذي شاهد ثمرة السعادة والذي عاد دون أن يحصل عليها، لكنه كان بعد عودته قد أصبح أكثر حكمة...

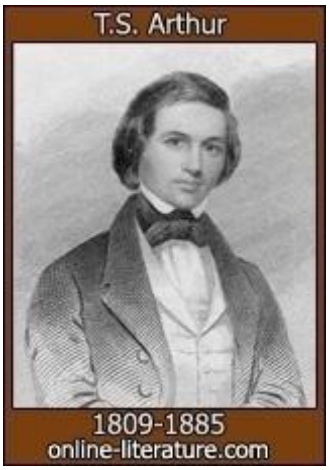

السيرة الذاتية للكاتب تيموثي شيي آرثر:

كاتب وشاعر أمريكي ولد في نيويورك في العام ١٨٠٩ وتوفي في فيلادلفيا في العام ١٨٨٥ وهو الولد الأصغر لضابط في جيش الثورة يُدعى ويليم آرثر.

كان ضعيف البُنية لذا كانت والدته قد تولت تدريسه بنفسها. انتقل والداه إلى بالتيمور في العام ١٨١٣ .، لكن عجزه عن متابعة الدراسة النظامية جعله يتابع تأهيله بنفسه بما في ذلك التدرّب على إحدى الحرف اليدوية ،لكنه أصيب أيضاً بضعف في بصره مما جعله يتوقف عن متابعة تدريبه على تلك الحرفة ، وينطلق في عمله في مجال الصحافة. عمل مراسلاً لعدد من الصحف كما كان له دوره كناشر وكرئيس لتحرير العديد من الدوريات.

ثم بدأ الكتابة وكان نجاح روايته بعنوان "عشر ليال" في العام ١٨٣٩ قد حقق له تلك الشهرة الكبيرة.

كما كان للكاتب تيموثي شيّ آرثر مساهمته في الحركة الإصلاحية الدينية وفي حركة إصلاح المُدمنين، وهو المجال الذي وجد فيه مصدر الإلهام للعديد من مؤلفاته التي تضمنت الكثير من النصائح الأخلاقية حول أسس نجاح الحياة الزوجية ، وحول أخلاقيات التعامل في العائلة،و أمور الطلاق، وغير ذلك من المواضيع الاجتماعية .

من أشهر مؤلفاته: من هم الأكثر سعادة ـ فائدة العمل الصالح ـ دروس في الحياة ـ مقاومة الإغراء ـ مهمة العائلة ـ الحياة الزوجية: بهجتها وكدرها – ملاك مُتنكّر ـ كل شيء للأفضل ـ سوف يأتي الوقت السعيد، وغير ذلك من الكثير من القصص الاجتماعية.

ومن أشهر قصائده : الفراشة الطليقة ـ أغنية طائر الثلج ـ ابتهالات المساء.

السيرة الذاتية للكاتب هانس كريستيان أندرسون

١٨٠٥-١٨٧٥

كاتب وشاعر من الدانمرك. كتب العديد من القصائد والمسرحيات ومن القصص القصيرة، لكن أكثرها شهرة كانت قصص الخيال التي كانت تتضمن بذات الوقت مَقولة أخلاقية وقد وصل عددها إلى ١٥٠ قصّة لا تزال تُعاد طباعتها ونشرها إلى اليوم.

أول ما نُشر من رواياته كان في العام ١٨٣٥ وهي عنوان "الطفل المرتجِل" كانت قد نشرتها له جامعة كوبنهاغن كما منحته عليها جائزة تقديرية .

استنبط أندرسون أسلوباً جديداً في الكتابة له خصوصيته في الكشف عن عمق المشاعر الإنسانية .

كان أول ما نُشر من قصائده الشعرية قصيدة تحت عنوان "الطفل الذي يموت" كانت قد لقيت تلك القصيدة نجاحاً مُنقطع النظير.

حصل الكاتب هانس كريستيان أندرسون خلال حياته على العديد من الجوائز التقديرية:

منحه الملك فريدريك الرابع في العام ١٨٤٦ لقب فارس الصقر الأحمر.

كما منحه الملك ماكس يمليان الثاني في بافاريا في العام ١٨٥٩جائزة في الآداب والعلوم .

وكان في نهاية حياته قد أصيب بسرطان الكبد مما أدى إلى وفاته في العام ١٨٧٥وإلى مواراته التراب في كوبنهاغن مسقط رأسه.

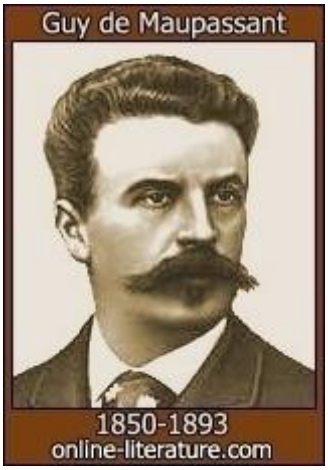

السيرة الذاتية للكاتب غي دو موباسان

١٨٥٠-١٨٩٣

هنري رونيه غي دو موباسان ولد قي تورفيل في القسم النورماندي بفرنسا وعاش فيها في بداية حياته. ينتمي إلى عائلة ثرية أرستقراطية ثرية . لم يلتحق بمدرسة نظامية إلى أن بلغ سن الثالثة عشر وكان إلى ذلك الوقت يتلقّى تعليمه على يدّ مدرس خاص. ثم التحق بمدرسة داخلية في مدينة روان إلى أن أنهى دراسته الثانوية والتحق بعدها بجامعة باريس لدراسة القانون . لكنه توقف عن متابعة الدراسة في العام ١٨٧٠ والتحق بالجيش عندما نشبت الحرب الفرنسية البروسية . لكنه لم يُكمل دراسته الجامعية بعد عودته إلى باريس وعمل موظفاً في وزاراتي التربية والبحرية.

وبعد ترك العمل في وزارة التربية تفرغ للتأليف . كان في البداية قد تتلمذ على يد الكاتب غوستاف فلوبير وهو من أشهر الكتاب في عصره كما كان قد تعرّف عن طريقه على أشهر الكتاب ومنهم الكاتب إميل زولا والكاتب ألفونس دوديه هنري جيمس، وغيرهم من مشاهير الكتّاب.

وكان قد حقق شهرته الأدبية عندما تم نشر أول رواياته في العام ١٨٨٠. ألف العديد من الروايات والقصص والمسرحيات وبلغ عدد القصص القصيرة التي كتبها حوالي الثلاثمائة قصة. من أشهر مؤلفاته مجموعته القصصية " حكايا الليل والنهار " ومن أشهر رواياته رواية " العقد" .كانت صحته قد بدأت بالتأخر بشكل كبير في العام ١٨٨٠ بسبب إصابته بمرض انتقل إليه أثناء الحرب وكان لذلك المرض تأثيره على صحته النفسية . ونظراً لأنه كان قد حاول الانتحار في العام ١٨٩٢ فقد تم نقله إلى مصحّة في باريس حيث كانت وفاته في السادس من حزيران من العام ١٨٩٣.

السيرة الذاتية للكاتب هاورد بايل:

كاتب وشاعر أمريكي. ولد في ويلنغتون في العام ١٨٥٣ . بدأ بدراسة الفنون في مدرسة الفنون في فيلادلفيا ثم انتقل إلى مدينة نيويورك لمتابعة دراسته في هذا المجال وعما هناك في كتابة المقالات في عدد من الصحف الأسبوعية والدوريات ، في العام ١٩٠٣ أسس مدرسة براندواين لتدريس الفنون وهي لاتزال حتى اليوم متحفاً يحتوي على العديد من أعماله الفنية .

كتب العديد من الراويات والقصص القصيرة ومن القصائد الشعرية وكانت روايته الأولى بعنوان " مغامرات روبن هود " من وضعته على باب الشهرة. ثم تلاها عدد من المؤلفات حول القراصنة وحول أحداث الحرب الأهلية،، ومن وأشهر تلك الروايات روايته بعنوان " الملح والفلفل". عمل هاورد بايل محاضراَ جامعة دريكسل كما حاضر في العديد من الولايات الأمريكية الأخرى كما كان بما لديه من موهبة فنية قد أعد أغلفة الكثير من الكتب منها أحد مؤلفات الكاتب مارك توين.

وكان في العام ١٩١٠ قد انتقل إلى مدينة فلورنسا في إيطاليا لرغبته في تعميق معلوماته حول أعمال كبار الفنانين في عصر النهضة ، لكنه أصيب بالتهاب الكبد الفيروسي مما أدى إلى وفاته في تشرين الأول من العام ١٩١١ وهو لايزال في ال ٥٨ من عمره، وتم مواراته التراب قي فلورنسا.

الاسم: أمل الرفاعي ابنة عمر بسيم
العنوان الالكتروني: amale@scs-net.org
الجنسية: عربية سورية
المؤهلات العلمية:
إجازة في الحقوق- جامعة حلب
دبلوم في الإدارة – المعهد الدولي للإدارة – باريس – فرنسا
اللغات الأجنبية: اللغتين الفرنسية والانكليزية.

الأعمال:

١ -مديرة لمكتب رئيس جامعة حلب

٢- أمينة السرّ ومسؤولة تنظيم المؤتمرات الدولية والمحلية التي انعقدت في جامعة حلب بالتعاون مع الجامعات والمؤسسات العلمية والمنظمات الدولية ومنها:

- منظمة اليونسكو
- المجلس الوطني للثقافة
- والفنون والآداب – دولة الكويت
- معهد التعاون مع العالم العربي مدريد – اسبانيا
- المنظمة العربية والثقافة والعلوم
- مركز زايد للتراث والتاريخ – دولة الإمارات العربية المتحدة. وغيرها.

المؤلفات التي تم نشرها ورقيًا:

- قاموس المصطلحات القانونية والدبلوماسية عربي –انكليزي وبالعكس

- قاموس المصطلحات الإدارية والاقتصادية عربي-انكليزي وبالعكس

- قاموس مصطلحات إدارة الأعمال انجليزي - عربي

- نماذج لأصول المراسلات التجارية، عربي- انجليزي

*** ترجمات تم نشرها عن طريق دار ناشري:**

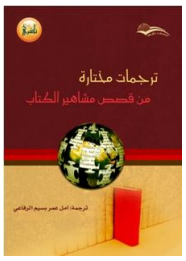

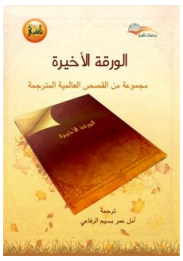

- مجموعة القصص الموجّة إلى الناشئين رقم ١

مؤلفات قيد النشر *Under publication* :

- نماذج لأصول المراسلات المكتبية ثلاثية اللغة ـ عربي انكليزي ،فرنسي .
- معجم المصطلحات الدبلوماسية والسياسية .
- القاموس القانوني الدبلوماسي ثلاثي اللغة -عربي انكليزي فرنسي .
- ترجمات لمجموعة من قصص الكاتب الفرنسي غي دو موباسان .

المقالات *Articles* :

- التأهيل الإداري وأثره في إعداد شخصية الإداري الناجح.
- تأثير محيط العمل على قبّل عملية التطوير الإداري.
- كلمة الشكر وحسن التعامل مع الآخرين .
- محكمة التاريخ .
- الفساد الأخلاقي .